الوجوه والنظائر في السياق القرآني

دراسة بلاغية

إعداد

د/ محمد بن عبدالله البقمي

قسم اللغة العربية

الكلية الجامعية بتربة- جامعة الطائف-السعودية

١٤٤٣هـ = ٢٠٢٢م

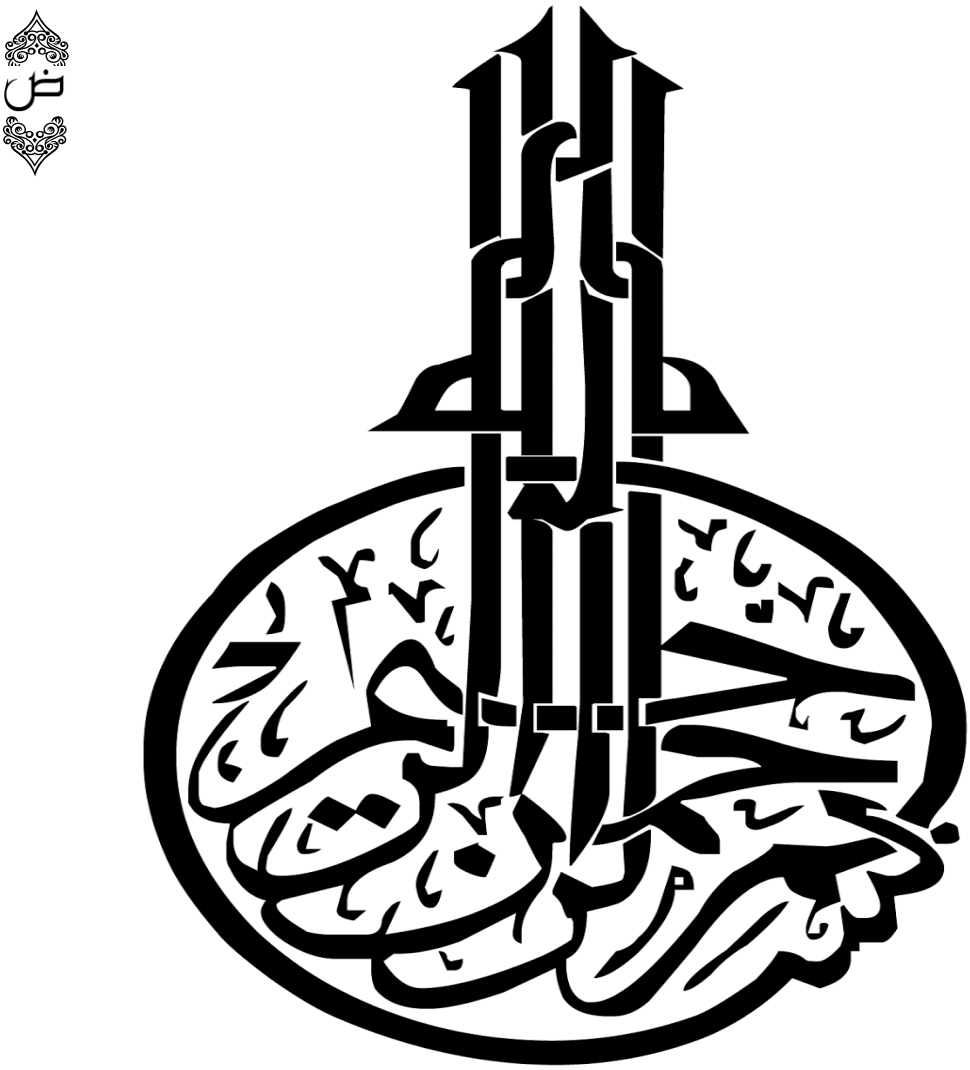

الوجوه والنظائر في السياق القرآني: دراسة بلاغية

محمد بن عبدالله البقمي.
قسم اللغة العربية، الكلية الجامعية بتربة، جامعة الطائف، السعودية.
البريد الإلكتروني:
m.alnumiri@tu.edu.sa

ملخص البحث:

قضية (الوجوه والنظائر) في الكتاب العزيز من القضايا التي تناولها العلماء في كتبهم، فمنهم من أفردها بالتأليف، ومنهم من تعرض لها عند شواهدها من آيات الكتاب العزيز، وعند النظر لمفهوم الوجوه والنظائر نجده منبثقًا في أغلب شواهده من الدلالة السياقية التي يختصُّ بها الدرس البلاغي، وهذا ما ينطوي عليه البحث من خلال فصله الأول، حيث ينهض البحث باستقصاء دلالة السياق وتأثيرها في اصطفاء الكلمة دون غيرها، وإيثار السياق لها تحديداً، كما نجد من شواهد البحث ما ينضوي تحت مبحث الدلالة البيانية التي تختصُّ بأبواب علم البيان من المجاز والاستعارة والكناية وغيرها وهو ما تناوله الفصل الثاني من البحث، ومنها ما يكون داخلاً ضمن إطار الدلالة الاشتقاقية، والتطور الدلالي لألفاظ اللغة ومصطلحاتها، وهو ما يتناوله المبحث الثالث من البحث، ومنها ما يقع تحت الدلالة التركيبية لألفاظ الوجوه والنظائر، وهو ما يندرج ضمن دلالات التراكيب اللغوية، وهذا ما يختصُّ به المبحث الأخير من البحث، كما يتضمن البحث خاتمة تلخص

نتائجه وأهم أفكاره وتوصياته، وقد سلك الباحث المنهج التحليلي عند دراسة شواهد البحث، وتحليل مفرداته، واستنباط معانيها، والوقوف عند أسراراها البلاغية، وقد كشف البحث عن أثر السياق القرآني في اختيار ألفاظ الوجوه والنظائر وتناسبها مع المعاني المرادة والإيحاءات المقصودة، كما جمعت ألفاظ الوجوه والنظائر القرآنية بين جمال اللفظ وإيقاعه وجرسه المعبر، ومعناه المتناسب مع الغاية المنشودة، كما بيَّن البحث إسهام الدلالة الاشتقاقية لمفردات الوجوه والنظائر القرآنية في حيوية اللغة وتثوير طاقاتها، وإثراء الألفاظ القرآنية بمزيد من المعاني والدلالات المختلفة التي تلائم السياق القرآني.

هذا البحث قامت بدعمه جامعة الطائف مشكورة من خلال عمادة البحث العلمي برقم: (٤٠-٤٤٢-١).

الكلمات المفتاحية: الوجوه والنظائر- السياق- البلاغة- السياق القرآني- البيان- دلالة التركيب.

Faces and counterparts in the Quranic context a rhetorical study

Mohamed bin Abdullah Al-Baqmi.
Department of Arabic Language, University College of Taraba, Taif University, Saudi Arabia.
Email: m.alnumiri@tu.edu.sa

Abstract:

The issue of (faces and analogies) in the Holy Book is one of the issues that scholars dealt with in their books. , and this is what the research involves through its first chapter, where the research investigates the significance of the context and its impact on selecting the word without others, and giving preference to the context specifically for it. This is what the second chapter of the research dealt with, Including what is included within the framework of etymological significance, and the semantic development of language words and terms, which is what the third section of the research deals with, and what falls under the structural significance of the words of faces and analogies, which falls within the semantics of linguistic structures, and this is what is specialized in the last section of the research. The research also includes a conclusion that summarizes its results, its most important ideas and recommendations, The researcher took the analytical method when studying the evidence of the research, analyzing its vocabulary, deriving their meanings, and standing at its rhetorical secrets. Its bell is the crossing, and its meaning is proportional to the desired goal. The research also showed the contribution of the etymological

significance of the vocabulary of the Qur'anic faces and analogues to the vitality of the language and the revolutionizing of its energies, and the enrichment of Qur'anic words with more meanings and different connotations that fit the Qur'anic context.

Key words: Faces and counterparts - Context - Rhetoric - Quranic context - Statement - Signification of the structure.

مقدمة

الحمد لله ولي الحمد وأهله والصلاة، والسلام علىٰ خاتم أنبيائه ورسله، نبينا محمد عليه وعلىٰ آله وصحبه، أفضل الصلاة وأتم التسليم. أما بعد

فإن البحث في بلاغة كتاب الله –تعالىٰ– متعلقٌ بعلم من أشرف العلوم، وهي العلوم التي اتصلت أسبابها بالكتاب العزيز، وأعانت علىٰ فهمه وتدبره، والتماس سر التعبير القرآني، وإيثار لفظة دون غيرها، فيتضح بذلك المعنىٰ المراد لتلك الألفاظ التي تتعدد معانيها وتتفق مبانيها، وهو كذلك وجهٌ من أعظم الأوجه الإعجازية لآيات الكتاب العزيز، حيث تتصرف الكلمة الواحدة إلىٰ وجوه كثيرة يصعب حصرها ولا يوجد ذلك في كلام البشر، فإذا نظر المفسر البارع في فروع البلاغة المتذوق لجمال الكلام إلىٰ الوجوه والنظائر وكيفية استخدام القرآن لها، وجد أن المعنىٰ لكلمة في موضع ما لا يمكن أن تؤديه كلمة أخرىٰ ولهذا آثَرَه السياق، واصطفاه دون غيره من الألفاظ، وهو ما ينهض به البحث البلاغي ضمن هذا المضمار الرحب الفسيح.

ومن هذا المنطلق جاءت فكرة البحث في بلاغة الوجوه والنظائر القرآنية، حيث تتعدد معاني الكلمة الواحدة، أو المادة الواحدة في آيات الكتاب العزيز بحسب مقتضيات السياق القرآني، أو غيرها من الدلالات الأخرىٰ: كالدلالات البيانية أو التركيبية أو الاشتقاقية.

ولا يفوتني في مقدمة هذا البحث أن أتوجه بالشكر الجزيل بعد شكر الله –تعالىٰ– لجامعتي العزيزة (جامعة الطائف) التي أفتخر بانتسابي إليها، وذلك علىٰ كل ما تقدمه لخدمة العلم وأهله وطلبته، وذلك من خلال برامج دعم الباحثين التي تنهض بها عمادة البحث العلمي في الجامعة، وكان منها دعم

هذا البحث بعقد رقم (١-٤٤٢-٤٠) فلها من الشكر أجزله، ومن الثناء أعطره، ونفعنا الله بما نقول ونكتب، وجعل ذلك خالصًا لوجهه الكريم.

فصول البحث وتقسيماته:

ينقسم البحث إلى أربعة فصول يتقدمها تمهيد ويعقبها خاتمة تلخص أهم أفكاره ونتائجه:

التمهيد: ويتناول مفهوم الوجوه والنظائر، والسياق القرآني، في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: الدلالة السياقية لألفاظ الوجوه والنظائر.

المبحث الثاني: الدلالة البيانية لألفاظ الوجوه والنظائر.

المبحث الثالث: الدلالة التركيبية لألفاظ الوجوه والنظائر.

المبحث الرابع: الدلالة الاشتقاقية لألفاظ الوجوه والنظائر.

الخاتمة: تتضمن تلخيصًا لأهم أفكار البحث ونتائجه.

وإن كان البحث لا يخلو من صعوبات علمية بطبيعة الحال، ولكنها تصنع للبحث قيمته، وتشير إلىٰ أهميته، وأصالة موضوعه، ويأتي علىٰ رأس هذه الصعوبات: عدم اهتمام من كتب في القضية بالشأن البلاغي عمومًا، وكذلك قلة الدراسات البلاغية للموضوع بل خلوها منه تمامًا، وهذا ما يتمنىٰ أن يضيفه الباحث من خلال عمله في هذا البحث.

والباحث إذ يقدم علىٰ هذا الموضوع ليسأل الله – تعالىٰ– العون والتوفيق والسداد، والعصمة من الزلل في التعامل مع آيات الكتاب العزيز، فهذه خطورة كامنة في أثناء البحث، يجب أن تكون موضع مراعاة الكاتب في هذا المضمار، إذ لا يصح لكل رأيٍ عَنَّ أن يُسجَّل بلا دليل أو برهان، فكلُّ قولٍ مرتهن بدليله، والله الموفق وهو الهادي إلىٰ سواء السبيل.

التأصيل النظري والدراسات السابقة

يُعدُّ البحث في الوجوه والنظائر في السياق القرآني من المجالات الواسعة التي تلتقي فيها الكثير من العلوم الشرعية والعربية، وعلىٰ رأسها علوم القرآن الكريم والتفسير وعلوم اللغة والمعاجم ودلالات الألفاظ، وعلوم البلاغة والنقد، وقد تناوله العلماء في مؤلفاتهم ما بين كتاب مستقل أو مبحث ضمن كتاب معين، ومن أقدم من تناوله ابن قتيبة في كتابه: (تأويل مشكل القرآن) فقد أفرد مبحثًا عنونه بـ (باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة)، وذكر ضمن هذا الباب الكثير من ألفاظ الوجوه والنظائر من أمثال: القضاء، والهدىٰ، والأمة، والعهد، والإمام، والإل، والكتاب، والمولىٰ، والروح، والوحي، وغيرها.

ومن هؤلاء أيضًا الذين أفردوا الوجوه والنظائر بالتأليف: مقاتل بن سليمان وكتابه هو أول كتاب وصل إلينا، وعنوانه: (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) وقد حققه الدكتور حاتم الضامن وقام بطباعته، ثم جاء بعده أبو منصور الثعالبي في كتابه: (الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها) وهو كما يُلاحظ من عنوانه دالٌّ تمامًا علىٰ الوجوه والنظائر بشكل تفصيلي، ثم أَلَّف ابن الجوزي بعد ذلك كتابًا سماه: (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)، وفي القرن السابع ألف أبو العباس أحمد بن علي المقرئ كتابه (وجوه القرآن)، وفي القرن التاسع ألف أبو العماد المصري كتابه :(كشف السرائر في معنىٰ الوجوه والأشباه والنظائر)، وفي القرن العاشر جاء الإمام السيوطي فألف فيه كتابه:

(معترك الأقران في مشترك القرآن) وقد طبع بعنوان: (معترك الأقران في إعجاز القرآن).

أما الكتب المعاصرة في الموضوع نفسه فهناك رسائل علمية، منها رسالة علمية قدمت لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للدكتور سليمان بن صالح القرعاوي بعنوان: (الوجوه والنظائر في القرآن دراسة وموازنة) وقد قامت بطباعتها جامعة الإمام عام ١٤١٠ هـ.

ومن الأبحاث التي قدمت في الموضوع ما كتبه الدكتور محمد علي الحسن في بحث نشره في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي، في عددها السابع لعام ١٩٩٣م، بعنوان: (نحو موسوعة إسلامية في الوجوه والنظائر القرآنية)، وقد ضمَّنه تصورًا مقترحًا لمسألة الوجوه والنظائر القرآنية، تيسر علىٰ الباحثين سبل البحث للوصول إلىٰ المعاني المنشودة، ومن البحوث أيضًا: بحث للدكتور أحمد محمد البريدي، بعنوان (**الوجوه والنظائر في القرآن الكريم دراسة تأصيلية**)، وهو بحث موجز مفيد. ومن الرسائل العلمية رسالة ماجستير للباحثة سلوىٰ بنت محمد بن سليم العوا، بعنوان: (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)، من جامعة عين شمس، طبعت عام ١٩٩٨م. وجميع هذه الأبحاث والرسائل العلمية قدمت ضمن حقل البحث في (علوم القرآن الكريم) في الدراسات القرآنية المعاصرة.

وهذه الكتب بمجموعها قدمت خدمة جليلة في استقصاء ألفاظ الوجوه والنظائر، واجتهد مؤلفوها في تحديد معاني المفردة في سياقاتها المختلفة، إلا أنها توقفت عند هذا الحد، وجاء سياق الألفاظ في بعضها مجردًا من التمحيص والتدقيق في سياق الآيات، بل يذكر اللفظ ثم تذكر

معانيه تباعًا ولكل معنىٰ ما يستشهد به من الآيات الكريمة، دون استقصاء للدلالات الأخرىٰ ومناقشة الاحتمالات الواردة للاعتراض، كما وردت خلوًّا من سبر أغوار السياقات القرآنية وأسرارها البلاغية، ما خلا بعض الإشارات السريعة التي لا تُعدُّ بحثًا بلاغيًّا مستقلاً، فقد ظل التناول البلاغي بعيدًا عن هذه الشواهد، ولم تحظَ بالعناية المطلوبة، وذلك بالرغم من أهمية المدخل البلاغي لدراسة أثر السياق ومراعاة مقتضىٰ الحال، ودلالات التراكيب وعلوم البيان.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث وما يمكن أن يشكل من خلاله إضافةً في الجوانب الآتية:

١. إضافة علمية لمجال البحث البلاغي من خلال الإفادة من علوم اللغة العربية والمعاجم، مع بيان مزية الجذر الاشتقاقي للمفردة، وعلاقة التطور الدلالي باختيارها، وعلاقة ذلك كله باصطفاء القرآن الكريم للمفردة نفسها، فمن ألفاظ الوجوه والنظائر ما شاع استعماله وفق معنىٰ محدد، ولكن تأثير التطور الدلالي للكلمة أضفىٰ عليها معنىٰ آخر التبست به، وهذا البعد الدلالي من القضايا التي تشترك علوم البلاغة مع علوم اللغة في دراسته وتحليله والكشف عن مضمونه وأسراره.

٢. إثراء الدرس القرآني بالإفادة من تراث علمائنا السابقين في البحث البلاغي، فإن المكتبة العربية زاخرة بالكثير من التآليف العلمية في هذا المضمار.

٣. تقديم نموذج علمي بحثي لتلاقي علوم اللغة العربية بعلوم القرآن الكريم، حيث يستكمل البحث البلاغي ما قام به أسلافنا في كتبهم المذكورة آنفًا من جمع ألفاظ الوجوه والنظائر واستقصائها، إلا أنها توقفت عند هذا الحد، فيكون البحث البلاغي مكملاً لما ذكر في هذه الكتب، التي تُعدُّ بدورها رافدًا مهما من روافد البحث في هذا الموضوع.

٤. فتح آفاق جديدة للباحثين في بلاغة الكتاب العزيز خصوصًا، والبلاغة والنقد عمومًا، لا سيما من خلال الكتابة والتأليف في هذه الموضوعات التي تتلاقىٰ فيها العلوم المختلفة، وتشترك حقول المعرفة لتشكل إثْر ذلك بُعدًا جديدًا للدراسات المعاصرة، وهو ما نجده يثمر أفكارًا بحثية خلاقة، وموضوعات علمية متميزة.

منهجية البحث:

ويطرق هذا البحث من خلال موضوعه قضية الوجوه والنظائر من الناحية البلاغية، لا سيما مع ارتباطها الوثيق بمباحث البلاغة وذلك وفق المنهج التحليلي الذي يعتمد تحليل شواهد البحث من آيات الكتاب العزيز، وما تتضمنه من الدلالات المتنوعة، وعلىٰ رأس ذلك تأتي الدلالة السياقية بما تشير إليه من جوهر البلاغة نفسها، كما عُني بذلك عبد القاهر الجرجاني في تنظيره لقضية "النظم"، فالمفردة لا تؤدي دورها المعنوي بمعزل عن السياق، إنما تعود إليه، وتنطلق منه في علاقة وثيقة متجددة تبعث الحياة في النص، وهذا بلا شك هو جزء من "الإعجاز البياني" الذي اشتمل عليه القرآن الكريم.

ويضاف إلىٰ الدلالة السياقية للنص دلالات أخرىٰ: كالدلالة التركيبية للكلمة نفسها التي جاءت علىٰ عدة أوجه، فتتفق في مبانيها ولكن تختلف معانيها بحسب ما تشير إليه الدلالة التركيبية.

وكذلك الدلالة البيانية للمفردة نفسها التي توظف طاقات علم البيان ومباحثه من الاستعارة والمجاز والكناية، فقد أشار البلاغيون إلىٰ مزية علم البيان وأن جوهره كامنٌ في إيراد المعنىٰ بطرق مختلفة، فيرد مرةً علىٰ سبيل التشبيه، ويرد أخرىٰ علىٰ سبيل المجاز، أو الكناية أو الاستعارة.

ومن الدلالات المؤثرة في قضية (الوجوه والنظائر) في سياق آيات الكتاب العزيز: الدلالة الاشتقاقية، التي تستفيد من معطيات علم اللغة، والاشتقاق المعجمي، والتطور الدلالي للألفاظ، فإن الجذر الاشتقاقي للكلمة نفسها يدلُّ علىٰ معنىٰ عام، ينضوي تحته عدد من المعاني الفرعية التي يختص كل واحدٍ منها بمفردة دون غيرها، وهذا ما يكشف عنه تناول (الوجوه والنظائر) من خلال الدراسة البلاغية التي توظف أدوات علم اللغة والمعاجم ومزية الجذر الاشتقاقي للمفردة نفسها. تتآزر هذه الدلالات مجتمعة في المباحث الأربعة لتثري الدرس البلاغي لكتاب الله –تعالىٰ– عمومًا، وإعجازه البياني والبلاغي، وكذلك لدراسة ألفاظ الوجوه والنظائر في آياته الكريمة خصوصًا، التي يعد البحث فيها من صميم ما يُعنَىٰ به الباحث في مضمار البلاغة والنقد، وهذا ما يرجو الباحث أن يوفَّق إليه بإذن الله –تعالىٰ.

❁❁❁❁❁

التمهيد

مفهوم الوجوه والنظائر:

قبل بيان مفهوم (الوجوه والنظائر) لابد من بيان معناهما اللغوي، فالوجوه: جمع وجه، ويطلق الوجه في اللغة ويُراد به: "وجه الإنسان وغيره: معروف. ووجه النهار: أوله. ووجه الكلام: السبيل التي تقصدها به. ووجوه القوم: سادتهم. وصرفت الشيء عن وجهه أي عن سنه"(١)، قال ابن فارس: "الواو والجيم والهاء: أصل واحد يدل علىٰ مقابلة لشيء، والوجه مستقبل لكل شيء"(٢).

والنظائر: جمع نظير، والنظير في اللغة المثيل والشبيه، يقال: هذا نظير الشيء إذا كان مشابهـًا له ومماثلاً، قال ابن فارس: "النون والظاء والراء أصل صحيح، يرجع فروعه إلىٰ معنىٰ واحد: وهو تأمل الشيء ومعاينته، ثم يستعار ويتسع فيه... وهذا نظير هذا من هذا القياس، أي إنه إذا نظر إليه وإلىٰ نظيره كانا سواء"(٣).

هذا من جهة المعنىٰ اللغوي، وهو بطبيعة الحال ليس بعيداً عن المعنىٰ الاصطلاحي الذي بيَّنه العلماء، وجعلوه حدّاً لهذا العلم (علم الوجوه والنظائر)، قال ابن الجوزي: "اعلم أن معنىٰ الوجوه والنظائر: أن تكون

---

(١) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط ١، ١٩٨٧م: ١/ ٤٨٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م: مادة (وجه).

(٣) المصدر نفسه: ٥/ ٤٤٤.

الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن علىٰ لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنىٰ غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنىٰ غير معنىٰ الأخرىٰ هو الوجوه. فإذاً النظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعاني"[(١)]، وخالفه الزركشي وضعَّف قوله، بحجة "أنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة، فيجعلون الوجوه نوعًا لأقسام، والنظائر نوعًا آخر كالأمثال"[(٢)]، والخلاف في المصطلح لا يغير من حقيقة عمل العلماء في كتبهم شيئًا، فلا مشاحة فيه كما هو معلوم، وقد جرت عادتهم علىٰ ذكر المادة اللغوية من مواضعها في كتاب الله –تعالىٰ–، ثم يتبعونها بما تشير إليه دلالات ورودها في المواضع المختلفة، وكل هذا معدودٌ في أبواب الوجوه والنظائر.

مفهوم السياق القرآني:

يعود أصل الاشتقاق اللغوي لكلمة السياق إلىٰ مادة (سوق)، مصدرٌ من ساق يسوق سياقًا، قال ابن فارس: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان–بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م: ٨٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٣٧٦هـ–١٩٥٧م: ١/ ١٠٢.

حدو الشيء، يقال: ساقه يسوقه سوقًا... والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء"[1]، وأشار الزمخشري إلىٰ بعض مجازات الإطلاق اللغوي للمادة بقوله: "ومن المجاز...وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلىٰ كذا، وجئتك بالحديث علىٰ سوقه: علىٰ سرده"[2]، يظهر من هذا أن أصل السياق عائدٌ إلىٰ مادة الاسترسال والتتالي والتتابع، وسوق الأشياء إلىٰ بعضها، ومنه سياق الكلام وسرده وتتابع ألفاظه ومعانيه.

وهذا المعنىٰ اللغوي لا يبعد كثيراً عن المعنىٰ الاصطلاحي للسياق، فسياق الكلام هو تتابع ألفاظه ومعانيه وتسلسلها وانتظامها لتشكَّل بذلك وحدة دلالية ونصًّا لغويًا يمكن فهمه وتحليله بشكل مستقل، سواء كان هذا التتابع سابقًا أو لاحقًا، وهو ما يسميه اللغويون: السباق واللحاق. قال البناني: "قرينة السياق: هي ما يدل علىٰ خصوص المقصود، من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه"[3]، ودلالته علىٰ المعنىٰ المراد في غاية الأهمية، لأنه يجلو غموض النص، ويقيِّد إطلاقه، ويخصِّص عمومه، ويحدِّد المقصود من الكلمة التي تحتمل معانٍ عدَّة، فوظيفة السياق تعادل وظيفة

(١) معجم مقاييس اللغة: مادة (سوق).

(٢) أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م: ١/ ٤٨٤.

(٣) حاشية البناني علىٰ شرح الجلال المحلي، وبهامشها تقرير الشربيني، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت: ١/ ٢٨.

الكاتب نفسه، في كشفها عن مراده، وقد تنبَّه العلماء لهذا الوظيفة السياقية المهمة، فهذا ابن القيم يقول في بيان أهمية قرينة السياق ودورها في تحديد المعنىٰ: "السياق يرشد إلىٰ تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة علىٰ مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته، فانظر إلىٰ قوله –تعالىٰ–: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الدخان:٤٩]. كيف تجد سياقه يدل علىٰ أنه الذليل الحقير؟!"(١).

ووظيفة السياق القرآني في آيات الكتاب العزيز متصلة بهذا المعنىٰ اتصالاً تامّـًا، ولا تخرج عنه بحال من الأحوال، فإنَّ تتابع الآيات الكريمة، وسوقها وانتظامها في سور القرآن الكريم، ينهض بوظيفة إعجازية لا تقف عن حدود الدلالة اللغوية فحسب، بل تصل إلىٰ منتهىٰ الأداء اللغوي وغاية ذروته، التي أعجز بها البلغاء، فكان آية خالدة حتىٰ قيام الساعة.

❁❁❁❁❁

(١) بدائع الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، الرياض، ١٤٢٤هـ: ٤/ ١٣١٤.

المبحث الأول: الدلالة السياقية

تعكس الكلمة الواحدة دلالات متباينة ومتنوعة كلما تعدَّد دورها في سياقاتٍ مختلفة، وقد أكَّد ذلك د. تمام حسان الذي أشار إلىٰ ضرورة فهم المقام أو السياق لاستكمال المعنىٰ، فاللغة -كما يرىٰ- ظاهرةٌ اجتماعية، والمقام عنصر مهم في تحديد الدلالة[1]، فالكلمة الواحدة حينما تأتي في سياقاتٍ متنوعة تتلوَّن بدلالات متباينة، وتتنوع معانيها ودلالاتها حسب السياق والمقام الواردة فيه، ولقد لاحظ البلاغيون القدامىٰ هذه الظاهرة وفق مقولتهم الذائعة: (لكلِّ مقامٍ مقال)، "واللغة بهذه الاعتبارات تمثل عند البلاغيين نظامًا يتصل بالأنسقة الخاصة، وتخضع لاعتبارات تتحكم في علاقاتها..."[2].

يؤدي السياق وظيفةً مهمة من خلال تركيب الوحدات اللغوية التي تكوّن النص وتتابع هذه الوحدات، وهو ما يسميه علماء اللغة بـ(السياق اللغوي)، ويمكن تعريفه بأنه: "الأصوات والكلمات والجمل كما تتتابع في حدث كلامِيّ معين أو نصّ لغوي"[3]، فالوحدات الدِّلالِيَّة التي يتكون منها الكلام إنما "تقع في مجاورة وحدات أخرىٰ، وإنَّ معاني هذه الوحدات لا يمكن

(١) اللغة العربية مبناها ومعناها، د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٧٩م: ٢٨ وما بعدها.

(٢) البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط١، ١٩٩٤م: ٣٠٧.

(٣) الكلمة دراسة لغَوِيَّة معجميَّة، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣م: ١٦١.

وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرىٰ التي تقع مجاورة لها"[١]، فالسياق يؤثر في فهم النص بعمومه، ويوجه الدلالة المستنبطة لفهم المفردة داخل النص، ولا يمكن فهمها بمعزلٍ عن سياقها الذي وردت فيه.

جاءت الكلمة القرآنية لتحمل ظلالاً معنوية ودلالية مرتبطة بالسياق، ثرية بالإيحاءات المطلوبة، مستقرة في مكانها المناسب حتىٰ تعطي المعنىٰ المراد حسب السياق الواردة فيه، ومتناسبة كذلك من الناحية المعنوية واللفظية والصوتية مع غيرها من الكلمات القرآنية الواردة في السياق القرآني.

ومن ألفاظ الوجوه والنظائر القرآنية التي تعدَّد ورودها في كتاب الله – تعالىٰ– واختلفت معانيها بحسب سياقاتها المعنوية: (الظن)، وهو من ألفاظ الأضداد التي عُني ببيان معانيها علماء اللغة، فنجد ابن الأنباري يبين وقوعه " علىٰ معانٍ أَربعة: معنيان متضادَّان: أَحدُهما الشكّ، والآخر اليقين الَّذي لا شكَّ فيه... والمعنيان اللَّذان ليسا متضادَّين: أَحدُهما الكذب، والآخر التّهمة"[٢]، واستشهد لذلك بآيات من الكتاب العزيز وبعض الشواهد الشعرية[٣]، قال الله –تعالىٰ–:﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ﴾ [سورة النجم:٢٨]. فالظنُّ هنا بمعنىٰ الشك وخلاف اليقين، لأنها وردت في

(١) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، د. سلوىٰ محمد العوا، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م: ٧٦.

(٢) الأضداد، أبو بكر ابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م: ١٤–١٥.

(٣) يُنظر الأضداد: ١٤ وما بعدها.

سياق تكذيب الكافرين بالآخرة وعدم الإيمان بها، وجاءت في تقابل معنوي مع الحقِّ، يقول تعالىٰ في تتمة الآية نفسها: ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾﴾ مما يعزِّزُ دلالة الشك وعدم اليقين. ثم يأتي (الظن) بمعنىٰ اليقين في قوله -تعالىٰ-﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الحاقة:٢٠]، وقوله -جلَّ اسمه-﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [سورة البقرة:٢٤٩]؛ لأنَّ الظنَّ هنا ورد في سياق الحديث عن إيمان أهل اليمين في الآخرة، وتصديقهم بها وبالحساب والجزاء، وهو من اليقين المستقر في قلوبهم الذي لا يساوره ريبٌ أو شكّ.

وبناءً علىٰ هذا فقد يرد الظن بمعنىٰ اليقين في آيات الكتاب العزيز، كما يرد بمعنىٰ الشك وهو الغالب في شواهد وروده، ولعلَّ الجامع بينهما ما يقوم في قلب المرء من الظنون التي قد تكثر أماراتها فتقوىٰ ويصدقها الواقع فتصبح حينئذٍ يقينًا لا ريب فيه، وربما تتلاشىٰ قرائنها فتضعف الظنون وتصبح عند ذلك شكًّا لا يداخله اليقين، وكلُّ هذا لا يمكن الجزم به دون التماس ما يشير إليه السياق ويتصل بدلالته اتصالاً واضحًا، وهذا "التفنُّن في معاني الظن في القرآن يشير إلىٰ وجوب النظر في الأمر المظنون، حتىٰ يلحقه المسلم بما يناسبه من حسن أو ذم علىٰ حسب الأدلة، ولذلك استنبط علماؤنا

أنَّ الظن لا يغني في إثبات أصول الاعتقاد، وأن الظن الصائب تناط به تفاريع الشريعة"[١].

وقد ورد (الرجاء) في وجوه متباينة حسب دلالة السياق، فجاء بمعنىٰ الطمع في قوله –تعالىٰ– حكايةً عن بني إسرائيل: قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [سورة الإسراء:٥٧]، فهم –أي: بنو إسرائيل– يدعون غير الله –تعالىٰ– ممن لا يملكون لهم نفعًا ولا ضرّاً، كوسيلة للتقرُّب إلىٰ الله –جلَّ جلاله–، ومن ثَمَّ فهم يرجون أو يطمعون في نيل الرحمة في الآخرة، وقد ورد الطباق السياقي هنا بين (يرجون – يخافون)، لتأكيد دلالة الطمع في رحمته –سبحانه– والخوف من عذابه وأليم عقابه.

والدلالة نفسها لمفردة (الرجاء) في قوله –تعالىٰ–: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ [سورة البقرة:٢١٨]. فالسياق هنا جاء مبينًا لحال المؤمنين والمهاجرين والمجاهدين، الذين تقربوا لله –تعالىٰ– بإيمانهم وهجرتهم وجهادهم في سبيله طمعًا في رحمته ونيل ثوابه، وجاء التعبير هُنا بالرجاء الذي يشير إلىٰ ترقُّب المنفعة والاجتهاد في طلبها دون القطع بوصولها، وذلك "علمًا منهم أن له أن يفعل ما يشاء، لأنه الملك

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م: ٢٧/ ١٠٩.

الأعظم"[1]، ومنها قوله -تعالىٰ-:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩﴾ [سورة فاطر:٢٩]، أي يطمعون في ثوابها ومكسبها، وهو ما توحي به الآية الكريمة من خلال إيثار مفردة (التجارة) التي يطمع التاجر فيها بالمكسب ويخشىٰ من الخسارة.

وقد ترد مادة (الرجاء) بمعنىٰ الخوف والخشية، وذلك كما في قوله -جلَّ في علاه-:﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [سورة الكهف:١١٠]، لأن السياق هُنا جاء في الحديث عن المؤمنين الذين يعملون الصالحات، خوفًا وخشية من لقاء الله -تعالىٰ- يوم الدين، وقد بيَّن أبو السعود لطيفة بديعة في هذه الآية حيث قال: "وإدخالُ الماضي علىٰ المستقبل للدِلالة علىٰ أن اللائقَ بحال المؤمن الاستمرارُ والاستدامةُ علىٰ رجاء اللقاءِ، أي فمن استمر علىٰ رجاء كرامتِه -تعالىٰ- ﴿ فَلۡيَعۡمَلۡ ﴾ لتحصيل تلك الطِّلْبةِ العزيزة"[2]، وأشار الطاهر ابن عاشور إلىٰ أن ختم سورة الكهف بهذه الآية من باب "ردِّ العجز علىٰ الصدر"[3] وفيه إشارةٌ بديعة لما ذكر في مطلع السورة:﴿قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا

(١) نظم الدرر في تناسب الآي والسور، أبو بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – مصر: ٣/ ٢٣٨.

(٢) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٥/ ٢٥١.

(٣) التحرير والتنوير: ١٦/ ٥٥.

شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ [سورة الكهف:٢].

ومنه قوله -جلَّ ذكره-:﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ [سورة العنكبوت:٥]**.، فالرجاء هنا ورد في سياق الوعيد لمن يعملون السيئات، في مقابلة من يستعدون للقاء الله ويؤمنون به، ومن ثم يعملون ويستعدون خشيةً من هذا اللقاء معه -سبحانه، الذي أكَّدته الآية الكريمة بالتوكيد:**﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾ **ليعمق من دلالة الخوف والخشية والهيبة في نفوس أولئك الذين يعملون لذلك اللقاء. ومنه أيضًا قوله -تعالىٰ- في سورة عمَّ:**﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧﴾ [سورة النبأ:٢٧]**، فقد جاء في سياق الحديث عن الطاغين والمكذبين وجزائهم يوم القيامة، لأنهم كانوا لا يخشون ولا يخافون البعث والحساب.**

وقد ورد (الرجاء) في الآيات السابقة بدلالتيه الطمع والخشية في صيغة المضارع للدلالة علىٰ أن الذين يكذبون ويدعون غير الله -تعالىٰ- ولا يخشون لقاءه مستمرون علىٰ عصيانهم وطغيانهم، كما أنَّ المؤمنين والمهاجرين والمجاهدين والمستعدين ليوم البعث هم كذلك مستمرون وسيظلون علىٰ حالهم من التقرب إلىٰ الله -تعالىٰ- بالأعمال الصالحة والاستزادة من مراضيه، وهذا مما تحمله صيغة المضارع من دلالة الحال والاستمرار. ولا تعارض بين المعنيين فإنَّ الذي يخاف عذابه ويخشاه، يقوم بقلبه من الطمع بثوابه وأمل الفوز بجنته ما هو كائن، وهو ما يُعبَّر عنه بجناحي العبادة: (الخوف والرجاء).

ومن ألفاظ الوجوه والنظائر في كتاب الله -تعالى-: (الجبَّار) حيث يرد في وجوه ودلالات، فجاء في معنىٰ القاهر للخلق كما في قوله -تعالىٰ-:﴿ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ ﴾ [سورة الحشر:٢٣]، **للدلالة علىٰ كونه القاهر لخلقه بقوته وكبريائه -جلَّ في علاه-**

وفي دلالة البطش والقتال كما في قوله -جلَّ ذكره-: ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ١٣٠﴾ [سورة الشعراء:١٣٠]، **حكايةً عن قوم عاد وبطشهم وقوتهم في القتال، كما هو مقتضىٰ سياق الآية الكريمة وما تشير إليه. كما جاءت في معنىٰ المتكبِّر الذي يعلو عن العباد ويتكبَّر عليهم في قوله -تعالىٰ-** ﴿ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤﴾ [سورة مريم:١٤]، **وذلك حكايةً عن سيدنا يحيىٰ بن زكريا -عليهما السلام-، وتقواه ولينه وبعده عن التكبر والعصيان والجحود.**

وقد وردت مادة (الأخ) في القرآن الكريم بمشتقاتها: (أخ – أخي – أخوك – أخاهم – إخوة – إخوان – أخت)، فجاء في دلالة أخوة النسب:﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ ﴾ [سورة النساء:١٢]، **وذلك في سياق الحديث عن حق الميراث بين الإخوة والأخوات في النسب. ومنها كذلك: قوله -جلَّ ذكره-:**﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ﴾ [سورة النساء:٢٣]، **وقال -سبحانه- علىٰ لسان يوسف -عليه السلام- لما أوقر لإخوته أحمال الطعام:**﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُمۡ

مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ [سورة يوسف:٥٩]، يعني بذلك أخاه الشقيق الأصغر "بنيامين"[(١)]، وهذا واضحٌ بجلاء في سياقات الآيات الكريمة، فقد جاء الأخ بمعناه الحقيقي، والمراد به: الأخ من الأم والأب أو أحدهما. وجاءت الأخوة في معنىٰ الولاية في الشرك، كما في قوله –جلَّ وعلا–:﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ [سورة الأعراف:٣٨]، يعني شبهها في الشرك والبعد عن الحق[(٢)]، وذلك في سياق الحديث عن جزاء أهل الضلال والمشركين في الآخرة. والدلالة نفسها في الآية الكريمة﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [سورة الأعراف:٢٠٢]، فالأخوة في الآيتين ارتبطت بمعنىٰ المشابهة أو الموافقة في الولاية والشرك.

وقد وردت مادة (الأخوة) في معنىٰ مطلق الشبه؛ كما في قوله –تبارك وتعالىٰ–:﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الزخرف:٤٨]، ووردت في معنىٰ أخوة الإيمان والإسلام كما في قولة –جلَّ ذكره–: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحجرات:١٠]، وقد آثر السياق القرآني الكريم أسلوب القصر بـ(إنما)

(١) ينظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م: ١٦/ ١٥٥.

(٢) ينظر: إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: عبدالعزيز الأهدل، دار العلم الملايين، بيروت – لبنان، ط ٣، ١٩٨٠م: ٢٤.

وذلك لتأكيد الدلالة وتقوية المعنىٰ، والتأكيد علىٰ الأخوة الإيمانية، والأخوة في الإسلام، وهو المعنىٰ نفسه الذي ورد في قوله -تعالىٰ-: ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]، وذلك في سياق منته -تعالىٰ- علىٰ عباده بأن أبدلهم بضغائن الجاهلية وأحقادها؛ أخوة الدين والإيمان فأصبحوا بذلك إخوانًا يحبُّ بعضهم لبعض ما يحبون لأنفسهم، وهذا التذكير بمنة الله -تعالىٰ- ونعمته علىٰ عباده طريق من طرق مواعظ الرسل كما بيَّنها الله -سبحانه- في كتابه الكريم(١).

كما ورد (الأخ) بمعنىٰ النسب أو الملازمة وليس من أمه وأبيه ولا علىٰ دينه(٢)، كما في قوله -تعالىٰ-:﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [سورة الأعراف:٦٥]، وقوله -جلَّ ذكره-: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ [سورة الأعراف:٧٣]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [سورة الأعراف:٨٥]، وهذه الأخوة هُنا بمعنىٰ أخوة "النسب؛ لأنهم عنه أفهم، وبحاله في الثقة والأمانة أعرف"(٣)، ومع ذلك فلم تكن هذه القرابة في النسب، والملازمة في الحال والبلد دافعًا للإيمان بالله -تعالىٰ-، وفي هذا من العبرة ما هو ظاهرٌ بيّن، فإن تظافر أسباب الهداية والتوفيق لا تصل بالضرورة إلىٰ الإيمان والتصديق.

(١) ينظر التحرير والتنوير: ٤/ ٣٣.

(٢) ينظر التحرير والتنوير: ٨/ ٢٠١.

(٣) نظم الدرر: ٧/ ٤٣٣.

وجاءت بمعنىٰ الصاحب في قوله –تعالىٰ–: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [سورة ص:٢٣]، وقد جاءت الإضافة إلىٰ ياء المتكلم في دلالة الصاحب؛ لتحمل دلاله القرب بين الصاحبين، وجاء التعبير بهذا اللفظ (أخي) دون غيره لبيان إنكاره لما فعل به أخاه، وليكون ذلك أبلغ في استكراه فعلته، قال أبو السعود: "والتَّعرُّضُ لذلك تمهيدٌ لبيان كمال قبحِ ما فعل به صاحبُه"(١). كما جاءت في معنىٰ أخوة المودة والحب والجزاء الحسن، كما في قوله –تعالىٰ–:﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الحجر:٤٧]، حيث شبَّه حال المؤمنين في الجنة بحال الإخوان في الدنيا، متصافِّين علىٰ سررهم، قد نُزِع الغلُّ من قلوبهم ولم يبقَ فيها سوىٰ المودَّة والمحبَّة لبعضهم، وهذا من النعيم المقيم الذي يهنأ به أهل الجنة.

ومن ألفاظ الوجوه والنظائر في الكتاب العزيز (المثوى)، فقد جاءت في معانٍ متعددة حسب ما يقتضيه السياق القرآني(٢)، وإن كان أصل مادة (ث و ىٰ) في تصاريفها "تدل علىٰ الإقامة"(٣)، فجاءت في مواضع من كتاب الله –تعالىٰ– بمعنىٰ المأوىٰ والمآل كما في قوله:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [سورة محمد:١٢]، وذلك في

(١) إرشاد العقل السليم: ٧/ ٢٢١.

(٢) ينظر الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مركز جمعة الماجد، دبي، ط ١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م: ١٠٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة: مادة (ثوىٰ).

سياق الحديث عن جزاء ومآل أهل النار. وقوله -جلَّ ثناؤه-: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [سورة محمد:١٩]، قال ابن جرير: "مثواكم إذا ثويتم في مضاجعكم للنوم ليلاً"(١)، فيستقرُّ الإنسان غالبًا في مكان نومه الذي يثوي إليه، وبهذا يكتمل وصف الله -تعالىٰ- بعلم أحوال العباد في متقلَّبهم ومثواهم؛ حيث يُشير المتقلَّب إلىٰ حال الإنسان حين الحركة والانتقال، ويُشير المثوىٰ إلىٰ حاله عند السُّكون والاستقرار.

وجاءت في معنىٰ المنزلة الكريمة، كما في قوله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾ [سورة يوسف:٢١]، في سياق حديث عزيز مصر لزوجته، واستقبالهم لنبيِّ الله يوسف -عليه السلام-، وقوله -تعالىٰ-: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [سورة يوسف:٢٣]، في سياق استقرار يوسف -عليه السلام- في بيت العزيز. وجاءت كذلك في معنىٰ الإقامة والاستقرار في سياق الحديث عن وصول نبي الله وكليمه موسىٰ - عليه السلام - إلىٰ أهل مدين واستقراره عندهم:﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ [سورة القصص:٤٥]، أي: مستقراً ومقيماً

(١) جامع البيان: ٢٢/ ١٧٤.

عندهم وبين ظهرانيهم، قال الزمخشري: "ثاوِيًا أىْ مقيما فِي أَهْلِ مَدْيَنَ"(١).

وبهذا تكون المادة اللغوية (الثواء) عائدة إلىٰ معنىٰ القرار والإقامة، وربما يضيف لها السياق بعداً دلاليًا بحسب ورودها فيه، كما مرَّ في الآيات الكريمة.

وبنحو هذا التنوع المعنوي بحسب مقتضى السياق القرآني جاءت كلمة (المأوى) في سياقاتٍ متعددة وفق دلالات متباينة، قال ابن فارس: "المأوىٰ: مكان كل شيءٍ يأوي إليه ليلاً أو نهاراً"(٢)، فجاءت بمعنىٰ الوصول كما في قوله –تعالىٰ–:﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ [سورة الكهف:١٠، وفي معنىٰ الحماية والاحتماء كما في قوله –عزَّ وجلَّ–:﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِۚ ﴾ [سورة هود:٤٣]، وقوله –جلَّ ذكره–:﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة هود:٨٠]. ، وفي معنىٰ الإكرام والعيشة الطيبة كما في قوله –تعالىٰ–:﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ [سورة يوسف:٩٩]، وفي معنىٰ التقريب والحنان والكنف قال –تعالىٰ–:﴿* تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُۖ ﴿٥١﴾﴾ [سورة الأحزاب:٥١]، وهي معانٍ متداخلة يقترب بعضها من بعضٍ في المعنىٰ؛ فإنَّ الاحتماء والحماية جزءٌ من الكنف، وهو

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط ٣، ١٤٠٧هـ: ٣/ ٤١٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة: مادة (أوىٰ).

متَّصلٌ بالإكرام والإقامة الطيبة الرغيدة الواردة في قصة يوسف -عليه السلام، كما أن المأوىٰ الذي يأوي إليه الخائف الفزع؛ لا يبعد عن كونه ملاذ يلجأ إليه، فيسكن فزعه ويزول خوفه باستقراره فيه ووصوله إليه، كما في قصة أصحاب الكهف.

وقد جاء المأوىٰ بمعنىٰ المصير والمآل، قال -تبارك وتعالىٰ- عن جزاء أهل النار:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة التوبة:٧٣]، أيْ: مصيرهم ومآلهم.

ومن الوجوه والنظائر القرآنية مفردة (الروح) فقد تعدَّدت معانيها بحسب السياقات التي وردت فيها، وقد وصفها ابن فارس بأنها "أصلٌ كبير مطرد، يدلُّ علىٰ سعة وفسحة واطّراد"[1]، فجاءت بمعنىٰ الرحمة، كما في قوله -تعالىٰ-:﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ ﴾ [سورة المجادلة:٢٢، في سياق الحديث عن المؤمنين بالله واليوم الآخر وجزائهم في الآخرة، وذلك لسعة رحمة الله -تعالىٰ- التي تغمر عباده وتغشاهم.

وجاءت الروح بمعنىٰ سيدنا جبريل -عليه السلام- ونزوله بالقرآن علىٰ نبينا -صلىٰ الله عليه وسلَّم-:﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [سورة الشعراء:١٩٣]، ومعنىٰ "الرُّوح الأمين أي: جبريل -عليه السلام-؛ لأنه أمين

(١) المصدر نفسه: ٢/ ٤٥٤.

على الوحي الذي فيه روح القلوب"[١]، وفي معنى الوحي، قال –جلَّ ذكره:﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [سورة الشورى:٥٢]، وسُمي الوحي روحًا: "لأن الخلق يحيون به في دينهم؛ كما يحيى الجسد بالروح"[٢]، وجاء في الدلالة أيضًا على سيدنا عيسى –عليه السلام–: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [سورة النساء:١٧١]، وقد وصف بهذين الوصفين: كلمة الله وروحٌ منه، فالكلمة المراد بها التكوين بقوله –تعالى– للشيء (كن) فيكون، وروح منه لأنه تكوَّن من النفخ دون النطفة، قال أبو السعود: "سُمِّي النفخُ روحًا: لأنه ريحٌ تخرج من الروح"[٣]، وجاءت الروح أيضًا في معنى الراحة والنعيم في الجنة﴿فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩﴾ [سورة الواقعة:٨٩]، حكاية عن جزاء المقربين وأهل اليمين في الآخرة، وما يلقونه من الفرح برحمة الله –تعالى– ومغفرته[٤].

واختيار كلمة (الروح) في السياقات القرآنية السابقة جاء ملائمًا متماشيًا مع السياق والمعاني المرجوة والإيحاءات المقصودة، فالروح تحمل ظلال

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس ابن عجيبة الحسني الفاسي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي، نشر الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة – مصر، ١٤١٩هـ: ٤/ ١٦١.

(٢) الكشاف: ٤/ ٢٣٥.

(٣) إرشاد العقل السليم: ٢/ ٢٥٩.

(٤) جامع البيان: ٢٣/ ١٦١.

الرحمة في سياق الحديث عن جزاء المؤمنين، كما أنها معبرة تمام التعبير وملائمة للحديث عن سيدنا جبريل -عليه السلام- الذي نزل بالرحمة المهداة للبشر أجمعين، فكان كالروح للجسد، ومتماشيةً بذلك مع الوحي والقرآن الكريم الذي هو رحمةٌ للعالمين، ومعبرةً كذلك ومتوافقة مع حال نبيِّ الله وكلمته عيسىٰ ابن مريم -عليهما السلام-:﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [سورة مريم:٢١]، وما من نبيٍّ إلا كان رحمة لقومه، ولا يخفىٰ ما تحمله مفردة (الروح) من ظلال النعيم والراحة في سياق الحديث عن جزاء المقربين في الآخرة.

وهكذا جاءت كلمة (الروح) وغيرها من كلمات الوجوه النظائر القرآنية في مكانها المناسب الملائم للسياق في القرآني، لتعكس الظلال المعنوية والإيحاءات القرآنية المقصودة، حسب السياق

متناسبة من الناحية المعنوية واللفظية مع غيرها من الكلمات القرآنية الواردة في السياق القرآني؛ لتجمع بذلك ألفاظ الوجوه والنظائر في آيات الكتاب العزيز بين دقة اللفظ وائتلافه مع المعنىٰ.

❁❁❁❁❁

المبحث الثاني: الدلالة البيانية

يتميَّز القرآن الكريم بأسلوبه البياني الفريد، كما يمتاز بسلامة ألفاظه، ودقه معانيه، وصوره البيانية بارعة التصوير مكتملة الإيحاء بالمعنىٰ المقصود، والدلالة المرادة. ولا يخفىٰ ما في الأسلوب القرآني من صياغة محكمةٍ لمعانيه وصوره البيانية، وتجسيد للمعاني الذهنية والعقلية في صورةٍ حسيةٍ ملموسة من خلال الصور التشبيهية والاستعارية والمجازية. ويدل البيان في أصله معناه اللغوي: "علىٰ الوضوح والانكشاف، سواء تم ذلك بالقول المنطوق أو المكتوب أو كان بالإشارة، أو الهيئة التي يبدو عليها الشيء، وهي التي يطلق عليها دلالة الحال"[(١)]، ولقد جاءت الدلالات البيانية من خلال الوجوه والنظائر في القرآن الكريم واضحة الدلالة علىٰ المعنىٰ المراد، قادرة علىٰ الإيحاء بظلال المعنىٰ القرآني المطلوب من وراء الصورة البيانية، مبتعدةً عن الغرابة أو التعقيد، مواكبةً للفصاحة التي اتَّسم بها اللفظ القرآني. وقد وردت ألفاظ الوجوه والنظائر في القرآن في دلالاتٍ سياقية مصحوبة بدلالات بيانية ساهمت في كشف المعنىٰ القرآني وإيضاحه وتجسيده وتأكيده في ذهن المتلقي.

ومن هذه المفردات: مفردة (الحرث) فقد جاءت في معنىٰ الحرث أو الزرع في الآية الكريمة:﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ [سورة البقرة:٧١]، وفي معنىٰ الثواب والجزاء؛ قال –جلَّ ذكره–: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ

(١) التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية، د. شفيع السيد، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت: ٣٢.

لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ [سورة الشورى:٢٠]. قال الزمخشري: "سُمِّيَ ما يعمله العامل مما يبغي به الفائدة والزكاء (حرثًا) على المجاز"(١).

وجاءت في معنى فروج النساء قوله -تبارك وتعالى-: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ﴾ [سورة البقرة:٢٢٣]، وفي الآية تشبيه حيث شبه النساء بالحرث أو الزرع، ولا يخفى ما تحمله دلالة التشبيه بالحرث أو الزرع من النماء والعطاء والزيادة والإكثار والتكاثر، فرغم التباعد في الحقول الدلالية بين النساء والحرث، لكنهما يحملان معنى العطاء والزيادة في الرزق والنماء، فـ"المرأة حرث الزوج، فهذا تشبيه، وذلك أنه مزدرع ولده"(٢).

وكذلك جاءت مفردة (السكن) في دلالاتٍ بيانية متقاربة تعود مجملها إلى أصل واحد مطّرد يشير إلى ما هو "خلاف الاضطراب والحركة"(٣)، فجاءت المادة بمعنى القرار أو الاستقرار، كما في قوله -جلَّ ذكره-: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ [سورة الأنعام:٩٦]، حيث شبَّه الليل بالسكن والاستقرار لما فيه من هدوء وراحة واستقرار بدني ونفسي بعد عناء النهار. وجاءت في معنى الطمأنينة، كما في قوله -سبحانه وتعالى- لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم

(١) الكشاف: ٤/ ٢١٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة: مادة (حرث).

(٣) المصدر نفسه: مادة (سكن).

بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ ﴾ [سورة التوبة:١٠٣].؛ فشبَّه الصلاة بالسكن والطمأنينة لما فيها من سكون النفس وراحة البدن، فهي وسيلة الاتصال بين العبد وربه، قال الطاهر ابن عاشور: "فإطلاق السكن علىٰ هذا الدعاء مجاز مرسل"(١)، وعلاقته السببية؛ لأن دعاءه لهم –عليه الصلاة والسلام– سببٌ في سكون أنفسهم وطمأنينتهم.

والملاحظ أنه رغم التنوع في الحقل الدلالي بين الأطراف السابقة: (النساء والحرث)، و(الصلاة والسكن)، (الليل والسكن) بيد أنها تحمل معانٍ ودلالات بيانية ومعنوية قريبة وملائمة للسياق الذي جاءت فيه، فالأصول المعجمية واسعةٌ مطّردة تجمع ما ندَّ من الدلالات البيانية المتنوعة.

وجاءت مفردة (السبيل) وتعني الطريق في دلالات بيانية كذلك، فهي في معنىٰ الطاعة، كما قال –تعالىٰ–:﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ﴾ [سورة البقرة:٢٦١]، فشبَّه الطاعة بالسبيل وهو الطريق الممتد المستقيم(٢)، وكلاهما يصل به الإنسان إلىٰ المقصود والمراد، فالسبيل يسلكه الإنسان ليصل إلىٰ مقصده، وكذلك الطاعة تصل بالإنسان عندما يسلك طريقها إلىٰ رضا الله وثوابه.

(١) التحرير والتنوير: ١١/ ٢٣.

(٢) يُنظر معجم مقاييس اللغة: مادة (سبل).

وجاء السبيل في معنىٰ المسلك، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الإسراء:٣٢]، فشبَّه الزنا بالمسلك أو السبيل السيئ الضال، الذي يصل به الإنسان إلىٰ غير مقصده الطبيعي، وكذلك الزنا والفاحشة تصل بالإنسان إلىٰ سوء السبيل ومعصية الخالق وعقابه وعذابه.

وجاء السبيل في معنىٰ الدين، قال -جلَّ ثناؤه-: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [سورة النساء:١١٥]، شبه الدين بالسبيل أو الطريق المستقيم وكلاهما وسيلة للوصول إلىٰ المقصد والمراد، فالدين وسيلة العبد للوصول إلىٰ الطاعة ثم رضا الله وثوابه. والدلالة نفسها في الآية الكريمة: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾ [سورة النحل:١٢٥]، فاقترنت الدلالة هنا بالحكمة والأسلوب الحسن لتناسبها مع حال الداعية إلىٰ الله -تعالىٰ-.

كذلك كلمة (الصراط) وهي أصل واحد بالسين أو الصاد بمعنى (الطريق)[1]، وقد جاءت في معانٍ ودلالات بيانية تشبيهية، كما في قوله -تعالىٰ-: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [سورة الفاتحة:٦]، وقوله -سبحانه-: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ﴾ [سورة الأنعام:١٢٦].

(١) يُنظر معجم مقاييس اللغة: مادة (صرط).

وقوله﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]، ففي هذه الآيات الكريمة شبَّه الدين بالصراط وهو الطريق المستقيم الممتد الذي يغيب فيه سالكه لاستقامته وعدم اعوجاجه، وفي هذا تجسيدٌ لمعنىٰ الدين، فهو وسيلة للوصول إلىٰ المقصود والغاية المرجوة، فهما يحملان معنىٰ الاستقامة (الدين والصراط)، والبعد عن الخطأ والاعوجاج بغية الوصول من خلال أقرب وأيسر السبل.

ومن ألفاظ الوجوه والنظائر القرآنية التي جاءت وفق الدلالات البيانية: مفردة (السعي) وأصلها العدو وتطلق علىٰ الحركة والقصد والكسب، فيُقال: "سعىٰ إذا عدا، وسعىٰ إذا مشىٰ، وسعىٰ إذا عمل، وسعىٰ إذا قصد"[(١)]، فجاءت في معنىٰ المشي في قوله –سبحانه–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [سورة الجمعة:٩]، وفي معنىٰ العمل في قوله –تعالىٰ–:﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [سورة الإسراء:١٩]، أيْ أعدَّ لها من العمل والطاعة ما ينجو به في الآخرة، فشبَّه السعي بالعمل والطاعة وكلاهما وسيلة الوصول إلىٰ ثواب الآخرة والجنة.

وقد تأتي الدلالة البيانية في الوجوه والنظائر القرآنية من خلال الاستعارة البيانية؛ كما في مفردة (الحرب) التي جاءت في دلالات بيانية استعارية، فجاءت بمعنىٰ الكفر في قوله –سبحانه–: ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت – لبنان، ط ٣، ١٤١٤هـ: مادة (سعىٰ).

فَسَادًا ﴾ [سورة المائدة:٣٣]، وجاءت في سياق الحديث عن فساد بني إسرائيل في الأرض وما يفعلون من قتل وتدمير، فشبه تلك المعاصي والذنوب بالحرب.

وكذلك شبَّه من يقع في معصية الله ويتجاوز حدوده بمن يحاربه – سبحانه– فالدلالة نفسها جاءت في قوله –تعالىٰ–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٨-٢٧٩]، في مساق الحديث عن جزاء وعقاب أهل الربا، حيث شبَّه جزاء الله وعقابه لأهل الربا بالحرب عليهم. ولا يخفىٰ ما في دلالة الحرب من معاني التدمير والهلاك، وهي الدلالة الملائمة للمعنيين رغم اختلاف السياق، فالمعاصي والذنوب تهلك أصحابها وتدمرهم كما تفعل الحرب، كما أن عقاب الله لأهل الربا كذلك.

وجاءت كلمة (الزخرف) وتعني "الزينة"[1]؛ في دلالات معنوية وبيانية حسب سياق ورودها في آيات الكتاب العزيز، فجاءت في معنىٰ الحُسن والزينة، وذلك في قوله –تبارك وتعالىٰ–: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ

(١) يُنظر معجم مقاييس اللغة: مادة (زخرف).

قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾ [سورة يونس:٢٤]. فشبَّه الأرض في زينتها واخضرارها وجمالها وعمرانها في صورة الحسناء التي تزدان وتتجمل بالحلي والزينة علىٰ سبيل الاستعارة، ولا يخفىٰ ما في دلالة الاستعارة هُنا من معاني ودلالات العطاء والنماء والرزق والزيادة، إلىٰ جانب دلالة الحسن والزينة والجمال.

وجاءت أيضًا في قوله –سبحانه–:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [سورة الأنعام:١١٢]، حيث شبه القول المنمَّق الذي يغترُّ به سامعه بالزخرف، والمراد به: قول شياطين الإنس والجن الكاذب، وفيه دلالة تجسيد وتزيين للقول الكاذب المخادع الذي يخدع البصائر والأبصار، فالزخرف يحمل معنىٰ الزينة في الآيتين مع اختلاف السياق والدلالة الحقيقية المقصودة.

وقد جاءت كلمة (الحسنة) وفق دلالات سياقية وبيانية، فجاءت في دلالة استعارية في قوله –عزَّ وجلَّ–:﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ﴾ [سورة آل عمران:١٢٠]، وفي الفعل (تمسسكم) دلالةٌ استعارية حيث جسَّد الحسنة في صورة مادية ملموسة. والدلالة نفسها جاءت في الآية الكريمة:﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [سورة النساء:٧٨]، حيث جاءت الدلالة الاستعارية من خلال الفعل (تُصبهم) الذي يحمل دلالة النصر والغنيمة، وفيه تجسيد كذلك للدلالة المعنوية. وجاءت (الحسنة) في معنىٰ المعروف والعفو في قوله –تعالىٰ–:﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا

ٱلسَّيِّئَةُ﴾ [سورة فصلت:٣٤]، وفي الفعل (تستوي) دلالة استعارية لما فيه من تجسيد للحسنة وكأنها شيء ملموس موزون هو أثقل وأرجح من السيئة.

وجاءت كلمة (أدنى) وهي مشتقةٌ من الدنو وهو: "أصلٌ واحد يقاس بعضه علىٰ بعض، وهو المقاربة"[1]، فجاءت المادة في معانٍ سياقية وبيانية: ومنها معنىٰ أجدر وأولىٰ؛ وذلك في الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ [سورة البقرة:٢٨٢]، أي: الأجدر بكم والأليق بحالكم ألا ترتابوا أو ترددوا. وجاءت كذلك في معنىٰ الأقرب كما في قوله -جلَّ ذكره-: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ [سورة السجدة:٢١]، قال الزمخشري: "الْعَذابِ الْأَدْنىٰ: عذاب الدنيا من القتل والأسر"[2]، فجاءت الدلالة الاستعارية من خلال الفعل (نذيق) الذي جَعَل للعذاب مذاقًا قريبًا للكافرين، ولا يخفىٰ ما في التجسيد من دلالة المبالغة والتأكيد.

ومن الألفاظ كذلك: مادة (الاشتراء) فقد جاءت لتعكس دلالات سياقية وبيانية، فدلَّت علىٰ معنىٰ الاختيار في مواضع من كتاب الله -تعالىٰ-، منها قوله -تعالىٰ-:﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾ [سورة البقرة:١٦]، أي: باعوا الهدىٰ بثمنٍ بخس وهو الضلالة واستبدلوها بها، قال أبو السعود: "الاشتراء

(١) معجم مقاييس اللغة: مادة (دنىٰ).

(٢) الكشاف: ٣/ ٥١٣.

استبدال السلعة بالثمن"[١]، وهذا الحال دليلٌ على كمال جهالتهم، فلا يقع في مثله من له أدنى تمييز، فالفعل (اشتروا) يحمل دلالة استعارية حيث شبه الضلال وهو الكفر بالسلعة التي تُشترى، كذلك شبَّه الهدى وهو الإيمان بالسلعة التي تُشترى وتُباع، وهذه الصورة البديعة قد أظهرت خسارة صفقتهم باشتراء الضلالة مقابل بيع الهداية.

وجاء (الاشتراء) في معنى البيع كما في الآية الكريمة: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٩٠]، أي: "باعوا به أنفسهم"[٢]، فشبَّه الكفر بشيء يُشترى ويُباع، ولا يخفى ما في الدلالة الاستعارية من تجسيد يوحي بحالة الذل والهوان الذي يلحق بأحوال من كفروا بالله –تعالى–، فيبيعون أنفسهم بأثمانٍ بخسة، ليست بأكثر من كفرهم بالله –تعالى–، وهذا من عاجل العذاب المهين الذي ختم الله الآية بذكره، وهو من تفنُّن القرآن الكريم في تقبيح أحوالهم.

ووردت كلمة (الضلال) في دلالات سياقية وبيانية، يجمعها أصلٌ واحد تتفرع عنه الدلالات البيانية الأخرى، قال ابن فارس: "الضاد واللام أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو ضياع الشيء وذهابه في غير

(١) إرشاد العقل السليم: ١/ ٤٨.

(٢) معاني القرآن، أبو زكريا الفراء، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، الدار المصرية للتأليف والنشر، مصر، ط١: ١/ ٥٦.

حقه"[1]، وكل ما لا يهتدىٰ إليه فهو ضلال، وقد جاءت المادة في كتاب الله – تعالىٰ- في معنىٰ الإبعاد، كما قال –جلَّ ذكره-: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة ص:٢٦]، فالفعل (يضلك) يحمل دلالة استعارية من خلال تشبيه الهوىٰ بإنسان مضِلٍّ لمن يتبعه، وفيه تجسيد للهوىٰ يعكس المبالغة التي تكسف خطورة الهوىٰ وتأثيره في البعد عن الهدىٰ، وقد بيَّن هذه الصورة البيانية الطاهر ابن عاشور بقوله: "فشبه الهوىٰ بسائر في طريق مهلكة علىٰ طريقة المكنية ورمز إليه بلازم ذلك: وهو الإضلال عن طريق الرشاد المعبر عنه بسبيل الله، فإن الذي يتبع سائراً غير عارف بطريق المنازل النافعة لا يلبث أن يجد نفسه وإياه في مهلكة أو مقطعة طريق"[2]، وفي هذه الصورة من تقبيح اتباع الهوىٰ ما لا يخفىٰ علىٰ المتأمل.

وجاء (الضلال) في معنىٰ الشقاء، كما قال –تعالىٰ-: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [سورة الملك:٩]، وفي معنىٰ الخسارة كما في الآية الكريمة التي وصفت حال امرأة العزيز في قصة يوسف –عليه السلام-: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة يوسف:٣٠]، ووصف الضلال بالكبير والمبين فيه تجسيد للضلال المعنوي في صورة ملموسة ومرئية من خلال الاستعارة، وذلك لوضوحه واستبانته لكلِّ من يراه.

(١) معجم مقاييس اللغة: مادة (ضلَّ).

(٢) التحرير والتنوير: ٢٣/ ٢٤٤.

ومن ألفاظ الوجوه والنظائر: كلمة (المعروف) فقد جاءت في معانٍ ودلالات بيانية، وأصل إطلاقها بيَّنه الزجاج بقوله: "ومعنىٰ المعروف: ما يستحسن من الأفعال"(١)، وجاء في لسان العرب في معنىٰ (المعروف): "كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه"(٢)، وجاءت كذلك في معنىٰ الحق والعدل والفرض كما في الآية الكريمة: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [سورة النساء:٦]، **فالمعروف هنا جاء كنايةً عن القرض المعلوم والحق الواضح، وجاء (المعروف) في دلالة بيانية تشبيهية في قوله – تعالىٰ-:** ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ [سورة النساء:٨]، **فشبَّه القول الحسن الليّن بالمعروف ليرتبط السياق بالدلالة البيانية التي تعكس جمال الموقف وحسن الموقع ولطف القول لمن حضر القسمة من هذه الأصناف المذكورة وتشوَّفت نفسه إليها، وجاء المعروف كنايةً عن التوحيد والإيمان في قوله –تعالىٰ-:** ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة التوبة:٧١]، **قال الطبري: "يأمرون الناس باتباع محمد –صلىٰ الله عليه وسلم– ودينه الذي جاء به من عند الله – تعالىٰ"(٣).**

(١) معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م: ٤/ ١٩٧.

(٢) لسان العرب: مادة (عرف).

(٣) جامع البيان: ٧/ ٩١.

ومنها –ألفاظ الوجوه والنظائر– كذلك: كلمة (الأعمى) وهو فاقد البصر، وجاءت في دلالات بيانية وتشبيهيّة منها قوله –تعالىٰ– حكاية عن الكافرين: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [سورة البقرة:١٧١]، **فشبَّه الكفر بالعمىٰ، بجامع الظلام وانعدام الرؤية، فالكافر لا يرىٰ الحق والإيمان، كذلك الأعمىٰ لا يستطيع الرؤية، وفيه تجسيد يعكس المبالغة في الكفر. وجاءت أيضًا في معنىٰ العمىٰ عن الحق والحُجَّة وعن ذكر الله –تعالىٰ– في الآية الكريمة:** ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة طه:١٢٤-١٢٥]، **فشبَّه المُعرِض عن ذكر الله ورؤية الحق والإيمان بالأعمىٰ، وفي ذلك تجسيدٌ يعكس المبالغة في الإعراض عن ذكر الله رؤية الحق، قال الزمخشري: "فُسِّر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة، فلم تنظر إليها بعين المعتبر ولم تتبصر، وتركتها وعميت عنها، فكذلك اليوم نتركك علىٰ عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك!"**[1]**، فكان جزاء عمايته عن الحقِّ في الدنيا، وعدم سلوكه لسبيله، أن جازاه الله –تعالىٰ– بالعمىٰ في الآخرة، حيث تمسُّ حاجته لإبصار مواطن نجاته من دروب الهلكة والجحيم.**

(١) الكشاف: ٣/ ٩٥.

من ألفاظ الوجوه والنظائر كذلك: كلمة (كبير) فقد وردت في سياقات بيانية استعارية، فجاءت في معنىٰ شديد وأليم، كما في قوله –سبحانه–: ﴿ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ١٩﴾ [سورة الفرقان:١٩]، **والاستعارة –هنا– جسَّدت العذاب في صورة ما يُمكن تذوقه، وكذلك في صورة مرئية مجسَّدةٍ كبيرة واضحة للعيان، مما يعكس المبالغة في الإحساس بالعذاب. وفي قوله –تعالىٰ–:**﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ ﴾ [سورة البقرة:٢٦٦]، **بمعنىٰ: المشيب وطول العمر، حيث شبَّه من غزاه الكبر والمشيب بالمصاب؛ مما يعكس الإحساس بثقل المشيب علىٰ النفس، وقد جاء هذا الوصف في معرض صورةٍ بيانية ومثل بديع ضربه الله –تعالىٰ– للمنفق في سبيله**(١).

وجاء (الكبر) كذلك في دلالة استعارية تجسيدية في الآية الكريمة: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٥﴾ [سورة الأنعام:٣٥]، **فشبه الإعراض والصدود بالشيء الثقيل، وفيه تجسيد لمعنىٰ الإعراض حيث وصفه بالكبر.**

(١) ينظر التحرير والتنوير: ٣/ ٥٣.

وجاءت كلمة (النار) وهي من ألفاظ الوجوه والنظائر في سياقات بيانية، فجاءت في معنىٰ النار أو جهنم كما في قوله -تعالىٰ-:﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [سورة البقرة:٢٤]، وقوله -تعالىٰ-:﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ [سورة البروج:٥]، جاءت معرفة موصوفة بجملة الصلة بعدها؛ لتأكيد الدلالة وإيضاح المعنىٰ المراد ووصف النار للتحذير والترهيب. وجاءت في معنىٰ الحرام حكاية عن الذين يأكلون من أموال اليتامىٰ ظلمًا بدون وجه حق، كما في قوله -سبحانه-:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [سورة النساء:١٠]، جاءت علىٰ سبيل النكرة وهي مرتبطة بدلالة بيانية، فالنار -هُنا- مجازٌ مرسل علاقته المسببية، لأن الحرام وظلم اليتامىٰ سبب لدخول النار وهو جزاء السعير الوارد في فاصلة الآية الكريمة، فذكر المسبب وأراد السبب، ولا يخفىٰ ما في دلالة النكرة من إفادة العموم.

وجاءت (النار) بمعنىٰ الكفر، وذلك في قوله -جلَّ ذكره-:﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٢١﴾ [سورة البقرة:٢٢١]، جاءت معرفةً للدلالة علىٰ الكفر المعلوم، وارتبطت كذلك بدلالة بيانية؛ فكلمة (النار) مجاز مرسل علاقته المسببية كذلك، أي: يدعون إلىٰ الكفر والعمل السيئ، الذي هو سببٌ لدخول النار، حيث ذكر المسبب وأراد السبب.

كذلك جاءت مادة (اللبس) – وهي من ألفاظ الوجوه والنظائر – في معانٍ ودلالات بيانية، في قوله –جلَّ ثناؤه–:﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة البقرة:٤٢]، حيث جاءت في دلالة استعارية تعكس تجسيد الحق والباطل، بأن يلبس أحدهما الآخر فيغطيه ويختلط به فيعميه عن الناظرين، تقول: "لبست الشيء بالشيء خلطته به"(١).

وجاءت في دلالة تشبيهية في معنىٰ السكن النفسي والاستقرار، كما قال – جلَّ ذكره–:﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ﴾ [سورة البقرة:١٨٧]، فشبَّه النساء باللباس للرجال، وشبه الرجال باللباس للنساء، وتعليل ذلك كما بيَّنه أبو السعود بقوله: "جعل كلّ من الرجل والمرأة لِباسًا للآخرَ لاعتناقهما واشتمال كلَ منهما علىٰ الآخر"(٢)، فدلالة اللباس أو التشبيه به في الحالتين مشعرةٌ بالأمان النفسي، والاستقرار العاطفي بين الزوجين، والستر والحماية من الغواية والفاحشة، والدلالة نفسها في تشبيه الليل باللباس في قوله –عزَّ وجلَّ–: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة النبأ:١٠]، قال الزجَّاج: "أي: تسكنون فيه، وهو مشتمل عليكم"(٣)، وجاء هذا التشبيه لما يحمله الليل من إحساس بالهدوء النفسي والاستقرار، والحماية من الإحساس بالتعب، وعناء النهار، وسكون الحركة، وانقطاع العمل والجهد.

(١) الكشاف: ١/ ١٣٢.

(٢) إرشاد العقل السليم: ١/ ٢٠١.

(٣) معاني القرآن: ٥/ ٢٧٢.

وجاء (اللباس) في معنىٰ العمل الصالح والتقوىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [سورة الأعراف:٢٦]، فشبَّه التقوىٰ باللباس بجامع الستر والحماية؛ فالتقوىٰ لباس وستر للعبد وغطاءٌ من غضب الله – تعالىٰ- وعذاب جهنَّم، كذلك اللباس سترٌ للعبد وغطاءٌ يصونه ويقيه من الحر والبرد، وفيه تجسيدٌ لمعنىٰ التقوىٰ يعكس قيمة التقوىٰ للعبد وأهميتها لسلوك سبيل النجاة، وقد عدَّه الطاهر ابن عاشور من المشاكلة، فقال: "وأطلق عليها اللباس؛ إما بتخييل التقوىٰ بلباس يلبس، وإما بتشبيه ملازمة تقوىٰ الله بملازمة اللابس لباسه، كقوله –تعالىٰ-: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ﴾ مع ما يحسن هذا الإطلاق من المشاكلة"[1]، والمشاكلة يطلقها البلاغيون ويعنون: ذكر الشيء بغير لفظه لوقوعه في صحبته[2]، فقد صُدِّرت الآية بذكر اللباس علىٰ حقيقة معناه في قوله –تعالىٰ-:﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [سورة الأعراف:٢٦]

(١) التحرير والتنوير: ٨/ ٧٥.

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف – العراق، ط١، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م: ٥/ ٢٨٤.

جاءت ألفاظ الوجوه والنظائر القرآنية في دلالات بيانية تعكس دلالة التجسيد والمبالغة في تأكيد المعنىٰ القرآني وثباته وكشفه وتوضيحه في صورة ملموسة ومحسوسة في نفس المتلقي حتىٰ يتأكد المعنىٰ في نفسه ويقنع به، "ومبعث الجمال في تشبيه المعنوي بالحسي، وتجسيد المشاعر والخواطر؛ يكسبها قوة، ويضاعف من تأثيرها في النفس"[1]، فالتجسيد من أقوىٰ الوسائل الفنية القرآنية في توضيح المعنىٰ وإبرازه وتأكيده وإيصاله إلىٰ ذهن المتلقي، ورغم التباعد الدلالي أو التباعد بين الحقول الدلالية في طرفي التشبيه والاستعارة القرآنية؛ لكنها حملت معان ودلالات بيانية ومعنوية قريبة وملائمة للسياقات الواردة فيها.

❁❁❁❁❁

(١) التعبير البياني: ٧٤.

المبحث الثالث: الدلالة التركيبية

النص القرآني نصٌّ لغويٌّ منسوجٌ من كلام العرب وبلسانهم، لكنه أرقىٰ وأبلغ النصوص اللغوية، وهو الذي أعجز البشرية جمعاء عن الإتيان بمثله، قال الله –تعالىٰ–: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة البقرة:٨٨].

ولقد امتاز التركيب القرآني بالدقة والإتقان وإحكام النسج والإعجاز التركيبي والأسلوبي الفريد، والجريان علىٰ نسق بديع خارج عن المألوف من كلام العرب، والتأليف العجيب والتناسب المتقن للتركيب القرآني.

ومما لا شك فيه أن دلالة التركيب القرآني من أسس إعجازه اللغوي، فالقرآن معجزٌ بأساليبه وتراكيبه اللغوية المفعمة بالدلالات البلاغية والفنية والمعنوية، التي قامت عليها العديد من الدراسات في البلاغة العربية ومن أبرزها دراسة شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) الذي اجتهد من خلاله في إثبات إعجاز القرآن بنظمه وأساليبه وتراكيبه اللغوية والبلاغية. ولقد وجدنا في القرآن ثبات علة الصياغة أو الجريان علىٰ الصياغة السائدة للجملة العربية بدون تقديم أو تأخير أو ذكر أو حذف، وأحيانًا تتحرك الصياغة القرآنية وتتبدَّل لتقديم دلالة بلاغية مقصودة، وعلىٰ هذا فإنَّ "تقديم جزءٍ من الكلام أو تأخيره لم يرد اعتباطًا في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملاً مقصوداً يقتضيه غرضٌ بلاغيٌّ"(١).

(١) علم المعاني، د. عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان: ١٣٦.

وقد يأتي تحريك الصياغة أو تبديلها، واللجوء إلىٰ صياغتها صياغةً أسلوبية بديلة للصياغة الأصلية من خلال التقديم والتأخير، الذي يأتي لتحقيق أغراض معنوية وبلاغية مرتبطة بالسياق لا تنفك عنه. فقد وردت كلمة (الحميم) وهي من الأصول المتشعبة في دلالاتها ومعانيها اللغوية، قال ابن فارس: "الحاء والميم فيه تفاوت؛ لأنه متشعب الأبواب جداً، فأحد أصوله: اسوداد، والآخر: الحرارة، والثالث: الدنو والحضور، والرابع: جنس من الصوت، والخامس: القصد"(١)، وجاءت في القرآن الكريم بمعنىٰ القريب أو المقرّب من النفس –مما يندرج تحت الأصل الثالث–، في قوله –تعالىٰ–: ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة الشعراء:١٠١]، ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة فصلت:٣٤]، وهو الصاحب القريب من النفس، والداني من الفؤاد، فجاءت الكلمة من خلال الصياغة الأصلية السائدة: (موصوف ثم صفة) دون تحريك أو تبديل للصياغة والتركيب؛ وذلك لدلالة القرب الشديد بين الأولياء والأصفياء فلا يفصل بينهما فاصل، وجاءت الكلمة نفسها من خلال تحريك الصياغة التركيبية بالتقديم، كما قوله –جلَّ ذكره–: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الحج:١٩]،﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ

(١) معجم مقاييس اللغة: مادة (حم).

ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الدخان:٤٨]، فجاءت بمعنىٰ الحرارة والعذاب هُنا – مما يندرج تحت الأصل الثاني المذكور آنفًا–، وارتبط سياق التقديم بالتخصيص والتأكيد.

وجاءت كلمة (الحكمة) –وهي من ألفاظ الوجوه والنظائر– في سياقات تركيبية من خلال التقديم؛ فجاءت في سياق معنىٰ السنة كما ذكر ذلك الطبري[1] وغيره عند قوله –تعالىٰ–:﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾﴾ [سورة البقرة:٢٣١]، ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾﴾ [سورة النساء:١١٣].فارتبط تقديم الجار والمجرور في الآيتين بدلالة التخصيص والتأكيد، والعطف بين القرآن والحكمة يقتضي التغاير، قال أبو السعود: "أي: من القرآن والسنة، أو القرآن الجامع للعنوانين، علىٰ أن العطف لتغايُر الوصفين"[2]، وجاءت كذلك وفق الدلالة التركيبية في معنىٰ الفهم والعلم، كما في قوله –تعالىٰ–: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾ [سورة لقمان:١٢]،﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾﴾

(١) جامع البيان: ٥/ ١٥.

(٢) إرشاد العقل السليم: ١/ ٢٢٨.

[سورة النساء:٥٤]، فجاء تقديم: (لقمان، آل إبراهيم) ليعكس أهمية المتقدم وأن يعنيه دون غيره، وليرتبط كذلك بدلالة التأكيد.

ومن ألفاظ الوجوه والنظائر التي جاءت في سياقات تركيبية من خلال التأخير: كلمة (الحرج)، وتلتقي معانيها في أصل واحد يعود إلىٰ: "تجمع الشيء وضيقه... ومن ذلك: الحرج الإثم، والحرج الضيق"[(١)]، وقد وردت في معنىٰ الضيق؛ كما في قوله –سبحانه–: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الأعراف:٢] [(٢)]، ومنه قوله –سبحانه– في الآية الكريمة:﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج:٧٨]، حيث وردت كلمة (حرج) متأخرة في الآيتين ليتقدم ويبدأ بسعة الدين ويسره ووسطيته، فهذا المعنىٰ هو المقصود والأولىٰ بالتقدم في السياق ثم يأتي بعد ذلك الحرج وهو الضيق. وتأخر كذلك (الحرج) وهو في معنىٰ الإثم في الآية الكريمة: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [سورة التوبة:٩١]، وذلك للبدء بالفئات المقصودة والمخصوصة بالعفو والمغفرة وعدم المؤاخذة بالإثم أو الحرج.

(١) معجم مقاييس اللغة: مادة (حرج).

(٢) ينظر جامع البيان: ١٢/ ٢٩٥.

كذلك وردت كلمة (جعل)[1] من خلال سياقات التقديم في قوله –جلَّ ذكره–:﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة النحل:٥٧]، **وقوله:**﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ [سورة يونس:٥٩]، **حيث ارتبط تقديم الجار والمجرور: (لله – منه)، بالتخصيص والتأكيد.**

وفي قوله –تعالىٰ–:﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة الأنعام:١٠٠]، **جاء تحريك الصياغة وفق الدلالة التركيبية من خلال تبديل رُتب ومواضع الألفاظ بالتقديم فقَدَّم (□) علىٰ (□)؛ "وليس بخافٍ أن تقديم الشركاء له مزيةٌ نعدمها إذن نحن قلنا: وجعلوا الجن شركاء لله؛ لأن التقديم أضفىٰ إفادة لا سبيل إليها مع التأخير وبيان ذلك أن المعنىٰ للجملة: أنهم جعلوا الجن شركاء عبدوهم مع الله وهذا معنىٰ يحصل مع التأخير ومع التقديم، لكن تقديم الشركاء يضيف إلىٰ هذه الإفادة معنىٰ آخر، وهو أنَّه ما كان ينبغي أن يكون لله شريكٌ لا من الجن ولا من غير الجن"[2].**

وردت كذلك كلمة (السلام) في سياقات تركيبية من خلال التقديم، ومعظم بابه مما يدلُّ علىٰ "الصحة والعافية"[3] والدعاء بالسلامة دعاءٌ

---

(١) تقول: "جعلت الشيء إذا صنعته" معجم مقاييس اللغة: مادة (جعل).

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٢م: ٢٨٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة: مادة (سلم).

بالصحة والعافية والسلامة من المكاره والمخاوف، كما في قوله –سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥﴾ [سورة القصص:٥٥]، وقوله – تعالىٰ:﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩﴾ [سورة الصافات:٧٩]، وقوله – سبحانه–: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩﴾ [سورة الصافات:١٠٩]، وقوله –جلَّ وعزَّ–:﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠﴾ [سورة الصافات:١٢٠]، فتحركت الصياغة في الآيات الكريمة، وكان الأصل تقديم شبه الجملة علىٰ النكرة (؟)، وجاء تقديم النكرة للتأكيد والتخصيص بالسلام، فقدَّم السلام لأنه عليهم دون غيرهم فهم المقصودون به دون سواهم من باب الدعاء لهم بالسلامة والنجاة.

ودلالة التأكيد والتخصيص من خلال التقديم جاءت كذلك مع مادة (الجهاد) في كتاب الله –تعالىٰ–، كما في الآية الكريمة:﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾ [سورة الفرقان:٥٢]، وقوله – تعالىٰ:﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ [سورة الحج:٧٨]، حيث تقدم شبه الجملة: (به – في الله) لدلالة التخصيص والتأكيد؛ فإنَّ تحريك الصياغة والعدول عن السائد والمألوف في الجملة العربية "يتحول باللغة من مجرد الإخبار بالمعنىٰ إلىٰ اللغة الإبداعية"(١)، مما يُكسِب الدلالة طبيعة فنية

(١) البلاغة والأسلوبية: ٣٢٩.

وجمالية، ويحقق أغراضاً دلالية ومعنوية لا يمكن تحقيقها في حال الالتزام بثبات الصياغة والتركيب.

وردت مادة (التوكل) كذلك في سياقات تركيبية من خلال التقديم والتأخير في قولة -تعالى-: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة إبراهيم:١٢]، ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة الأعراف:٨٩]، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة هود:٨٨]، ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَاۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الملك:٢٩]، **حيث تقدَّم الجار والمجرور لفظ الجلالة أو ما يشير إليه من الضمائر في الآيات الكريمة علىٰ الفعل لدلالة التأكيد والاختصاص؛ أي: توكَّلنا عليه -تعالىٰ- وحده؛ لأن التوكل والاعتماد عبادةٌ قلبيةٌ لا تصرف إلا له -سبحانه- دون غيره.**

ولا يقف أسلوب التقديم - في ألفاظ الوجوه والنظائر القرآنية - عند مجرد تقديم جزئيات اللغة من تقديم كلمة علىٰ كلمة أو جملة علىٰ جملة، إنما يمتد التقديم ليشمل المعنىٰ فيُقدَّم المعنىٰ الأولىٰ بالتقديم؛ فقد وردت كلمة (الظلم) وتعني في اللغة: "وضع الشيء في غير موضعه تعديًا"[1]، في سياقات تقديم المعنىٰ القرآني فجاءت في معنىٰ: (الشرك) في قوله -تعالىٰ-:

(١) معجم مقاييس اللغة: مادة (ظلم).

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة لقمان:١٣]، **فتقدَّم الشرك في الآية من خلال سياق النهي الدال علىٰ التحريم وهو المعنىٰ الأولىٰ بالنهي عنه والتحذير منه، لذلك جاء في صدارة الكلام، وختم بتشبيه الشرك بالظلم؛ لأنه أشد أنواع الظلم فهو ظلمٌ للنفس، وجاء مؤكَّداً بأكثر من أداة: إنَّ واللام، ووصف بقوله (عظيم) مبالغةً في ذمه والتحذير منه. وجاء الظلم بدلالته الحقيقية وهي ظلم الناس، في قوله –تعالىٰ–:** ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الشورىٰ:٤٠]، **بدأت الآية بالسيئة وخُتمت بالظلم والظالمين، لأن السيئة وعمل السيئات يعادل الظلم، فبدأت بالمعنىٰ الأولىٰ بالتقديم وهو الإشارة إلىٰ جزاء عمل السيئات، كما تقدم كذلك العفو والصفح والإصلاح؛ لأنه الأولىٰ من السيئة بالسيئة، وخُتمت بالظالمين المحرومين من حب الله –تعالىٰ– ورحمته.**

وجاء (الظلم) في معنىٰ النقص والسلب كما في الآية الكريمة: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الأنبياء:٤٧]، **بدأت الآية بالعدل والقسط في الميزان والحساب فهو الأولىٰ، وخُتمت بنفي الظلم تأكيداً لما بدأت به. وجاء الظلم والظالمين في معنىٰ المشركين:** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ

ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة هود:١٨]، فقدَّم اللعنة وافتتح بها، وأعقبها بالظالمين أو المشركين الذين هم أهلٌ لها وأحق بها. وجاء (الظلم) كذلك في معنىٰ ظلم النفس، كما في قوله -جلَّ ذكره-: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴿١﴾﴾ [سورة الطلاق:١]، حيث بدأت الآية بالتعدي والتجاوز لحدود الله -تعالىٰ-، وشبهت ذلك بالظلم للنفس، فخُتمت بالظلم تأكيداً للمعنىٰ والدلالة، ولا تخرج هذه الوجوه المعنوية للظلم عن معناه اللغوي وهو وضع الشيء في غير موضعه علىٰ سبيل التعدي والتجاوز، وإن اختلفت سياقاتها التركيبية في الآيات الكريمة.

وجاءت كلمة (العزيز) في سياق تقديم المعنى القرآني، كما في قوله -سبحانه-: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾﴾ [سورة النساء:١٥٨]، في سياق الحديث عن الذين زعموا قتل المسيح -عليه السلام-، ونفىٰ المولىٰ -سبحانه وتعالىٰ- ذلك بقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [سورة النساء:١٥٨].؛ لذا قدَّم (العزيز) علىٰ (الحكيم) لأن العزيز لا يغلبه شيءٌ ولا يفوته ولا يقوىٰ عليه أحد، ولا يصل إليه أو يلحق به، ويفعل ما يريد عن حكمة وعلمٍ وقدرة، لذا تقدم معنىٰ العزيز علىٰ الحكيم فهو -سبحانه- منزَّهٌ بذاته عزيز بقوته وجبروته وحكمته، وقد بيَّن ابن فارس معناه اللغوي الذي لا يخرج عن هذا السياق، ووجَّه قول الخليل بن أحمد في بيان معناه بقوله: "العين والزاء أصل صحيح واحد، يدل

علىٰ شدة وقوة وما ضاهاهما، من غلبة وقهر. قال الخليل: [العزة لله جل ثناؤه، وهو من العزيز. ويقال: عز الشيء حتىٰ يكاد لا يوجد][(١)]، وهذا وإن كان صحيحًا فهو بلفظ آخر أحسن، فيقال: هذا الذي لا يكاد يقدر عليه"[(٢)].

وجاءت مادة (العزَّة) في معنى: العظمة والقوة، كما في قوله –جلَّ ثناؤه–: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة ص:٨٢]، **فتقدَّمت العزة هنا؛ لأنها جاءت بدلالة القسم، وجاءت العزة بدلالة الحميَّة، كما في قوله –تعالىٰ–:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [سورة البقرة:٢٠٦]، **في سياق الحديث عن المفسدين في الأرض، فبدأت الآية بالنصيحة وهي الدعوة إلىٰ تقوىٰ الله –تعالىٰ–، فالنصيحة هي المعنىٰ الأولىٰ بالتقديم، ثم جاءت العزة في معنىٰ الحمية والعصبية والجهل متأخرة عنها؛ لأنها الدليل علىٰ ظلمه وإفساده في الأرض.**

وجاء العزيز في معنىٰ الشدة والثقل، لا سيما إذا قُيِّد بحرف الجر علىٰ، كما في قوله –تعالىٰ–: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة:١٢٨]، **وذلك في سياق الحديث عن حرص النبي –صلىٰ الله عليه وسلم– علىٰ قومه ورحمته بهم ودعوته لهم بالنجاة، التي قابلوها بالكفر**

(١) ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي و د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت: ١/ ٧٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة: مادة (عزَّ).

والعناد، فكان ذلك عزيزًا شديدًا علىٰ نفس النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- في إطار حرصه علىٰ قومه ودعوتهم إلىٰ سبيل النجاة؛ فتقدَّم (عزيز) الدال علىٰ أثر كفرهم وعنادهم ورفضهم، وشدة ذلك وثقله علىٰ نفس النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- مما يوحي بحرصه الشديد علىٰ نجاتهم، وثقل عنادهم ومكابرتهم علىٰ نفسه، قال الطاهر ابن عاشور: "والعزيز: الغالب. والعزة: الغلبة. يقال: عزه إذا غلبه. ومنه:﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة ص:٢٣]، فإذا عُدِّي بـ(علىٰ) دلَّ علىٰ معنىٰ: الثقل والشدة علىٰ النفس"[1].

ومن ألفاظ الوجوه والنظائر القرآنية: مادة (العبادة) فقد جاءت في سياقات تركيبية، فتقدَّم الفعل (اعبدوا) كما في قوله -تعالىٰ-: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأعراف:٥٩].، وقوله:﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾ [سورة نوح:٣]؛ لأن العبادة هنا في معنىٰ التوحيد وهو الأولىٰ بالتقديم، كما أنَّ الأمر في الآية يخرج إلىٰ معنىٰ بلاغي؛ وهو النصح والإرشاد وهو أولىٰ بالتقدُّم من غيره. وتأخَّر الفعل نفسه في الآيتين:﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة سبأ:٤٠]، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا

(١) التحرير والتنوير: ١١/ ٧٢.

يَعۡبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة القصص:٦٣]، حيث تقدَّم ضمير النصب في الآيتين للتخصيص، حيث خصَّص الملائكة دون غيرهم –فهم المعنيون بالذكر– لأنهم أشرف شركائهم ومعبوداتهم، قال أبو السعود: "وتخصيص الملائكة؛ لأنهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم، ولأن عبادتهم مبدأ الشرك، فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم؛ يظهر حال سائر شركائهم بطريق الأولوية"(١)، فعبادة غيرهم باطلةٌ من باب أولىٰ.

ومن ألفاظ الوجوه والنظائر التي جاءت في سياقات تركيبية:

كلمة (الخاطئين) وأصل معناها اللغوي يعود إلىٰ الخطأ بضد الصواب، تقول: "خَطِيءَ الرجل خِطْئًا فهو خاطِيء. والخَطيئة: أرض يخطؤها المطر ويصيب غيرها. وأَخطَأَ إذا لم يصب الصواب"(٢)، ووردت في كتاب الله –تعالىٰ– في معنىٰ الذنب بدون شرك، كما في قوله –جلَّ ذكره–: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة يوسف:٩١]، وقوله –سبحانه–: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة يوسف:٩٧]، أي: مجانبين للصواب، فجاءت الصياغة بالتأكيد في الآيتين لتقرير الخطأ فيما دون الشرك. كما جاءت الكلمة في معنىٰ الذنب مع الشرك، ومن ذلك قوله –تعالىٰ–: ﴿لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الحاقة:٣٧]"وهم المشركون"(٣)، وذلك في سياق الحديث عن طعام أهل

(١) إرشاد العقل السليم: ٧/ ١٣٧.

(٢) العين: ٤/ ٢٩٢.

(٣) الكشاف: ٤/ ٦٠٦.

جهنم، وجاء التركيب من خلال أسلوب القصر بالنفي والاستثناء لدلالة التأكيد.

ومن كلمات الوجوه والنظائر القرآنية التي جاءت في سياقات تركيبية كلمة (الحسنى)؛ فجاءت في معنىٰ الجنة كما في قوله –تعالىٰ–: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [سورة يونس:٢٦]، حيث قدَّم الذين أحسنوا لاختصاصهم بالجزاء وهو الجنة[1]، وفي سورة الرحمن: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [سورة الرحمن:٦٠]، جاء التركيب من خلال أسلوب القصر، أي: ليس جزاء الإحسان إلا الإحسان وهو الجنة، فجاء القصر بالنفي والاستثناء لتأكيد المعنىٰ، قال ابن عطية: "والمعنىٰ: أنَّ جزاء من أحسن بالطاعة أن يُحسن إليه بالتنعيم"[2]. وجاءت الحسنىٰ بمعنىٰ العليا في قوله –سبحانه–: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [سورة الأعراف:١٨٠]، من خلال سياق تقديم شبه الجملة (لله) لإفادة التأكيد والتخصيص، فلا تكون الأسماء الحسنىٰ التي بلغت في الحسن غايته، ووصلت في العلو إلىٰ منتهاه إلا لله –تعالىٰ–، وهو مقتضىٰ تقديم شبه الجملة في الآية الكريمة.

ومن ألفاظ الوجوه والنظائر القرآنية كلمة (الصلاح) فقد جاءت في سياقات تركيبية من خلال أسلوب القصر الدال علىٰ التأكيد، فوردت

(١) ينظر جامع البيان: ١٥/ ٦٢ وما بعدها.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٢ه: ٥/ ٢٣٤.

في معنىٰ الطاعة في قوله –تعالىٰ–:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة البقرة:١١، من خلال القصر بـ(إنما)، وفي معنىٰ الإحسان في قوله –عزَّ وجلَّ–:﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة هود:٨٨]، أي: لا أريد إلا الإصلاح ما قدرتُ إلىٰ ذلك سبيلاً، ولهذا قُيِّد بقوله: ﴿ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ﴾ [1]، فجاء القصر من خلال النفي والاستثناء ليكون أبلغ في تأكيد المعنىٰ.

كما وردت كلمة (الفسق) في سياقات تركيبية من خلال سياق الذكر، وأصل الفسق في اللغة يعود إلىٰ: "الخروج عن الطاعة"[2]، فجاءت في معنىٰ الكفر وتكذيب النبي –صلىٰ الله عليه وسلم–: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة التوبة:٦٧]، وفي معنىٰ المعصية دون شرك أو كفر كما في قوله –عزَّ وجلَّ–:﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة المائدة:٢٦]،. وفي معنىٰ الكذب في قوله –جلَّ ذكره–:﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة النور:٤]، فجاء السياق هنا معتمداً علىٰ سياق ذكر المسند إليه–:﴿ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ،﴿ٱلْقَوْمِ

(١) ينظر إرشاد العقل السليم: ٤/ ٢٣٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة: مادة (فسق).

ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ وذكر لدلالة التخصيص والتأكيد، وتحقير شأنهم والتقليل من أهميتهم.

كما جاء سياق الذكر للتحقير وتقليل الشأن من خلال الفعل (يجادل) وهو من ألفاظ الوجوه والنظائر القرآنية، ومن ذلك قوله –تعالىٰ–: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾ [سورة الرعد:١٣]. **"والمجادلة: المخاصمة والمراجعة بالقول"**[1]، **وهذا يحمل دلالة التحقير والتأكيد، وجاء كذلك من خلال أسلوب القصر بالنفي والاستثناء، كما في قوله –جلَّ ذكره–:** ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾ [سورة غافر:٤]، **ليحمل دلالة التأكيد والمبالغة في تحقير الجدال والمخاصمة في الكفر بالله –تعالىٰ–، وهو حال المشركين مع نبينا –صلىٰ الله عليه وسلم–، وفي هذا من تقريعهم وتوبيخهم ما لا يخفىٰ علىٰ المتأمل.**

وجاءت ألفاظ الوجوه والنظائر القرآنية من خلال سياقات تركيبية عبر سياق التقديم الذي لم يقف عند مجرد تقديم جزئيات اللغة من تقديم كلمة علىٰ كلمة بل ليشمل المعنىٰ فتقدم المعنىٰ الأولىٰ بالتقديم، وجاءت كذلك عبر سياق القصر لتعكس تأكيد المعنىٰ، وأحيانًا عبر سياق الذكر لترتبط بالتخصيص والتأكيد.

❁❁❁❁❁

(١) التحرير والتنوير: ١٣/ ١٠٥.

المبحث الرابع: الدلالة الاشتقاقية

تعتبر ظاهرة الاشتقاق في اللغة من الظواهر المهمة التي تمتلك الطاقة والقدرة والمرونة علىٰ إكساب وإثراء مفردات اللغة، وكذلك المفردات القرآنية تشتمل علىٰ معان متعددة ومتنوعة، ودلالات ثرية من خلال كمٍّ غير قليل من الكلمات والأبنية والألفاظ اللغوية، ومن ثم تسهم هذه الظاهرة اللغوية في ثراء وسعة الألفاظ القرآنية، وتكسبها مزيداً من المعاني والدلالات الملائمة للسياق والمعبرة تمام التعبير عن الدلالة التي تسعىٰ إليها الألفاظ المشتقة.

والاشتقاق توليد الألفاظ بعضها من بعض فهو "نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما للمعنىٰ والتركيب"(١)، وهو طريقة حيوية تسهم في التجديد اللغوي والتوسيع الدلالي والتنويع الفنيّ لمفردات القرآن الكريم، فالهدف من الاشتقاق هو الامتداد الدلالي، وتوسيع الأداء اللغوي من أجل تحقيق الغاية ودقة إيصال المعنىٰ، وتقديم الدلالة بطريقة جديدة مستنسخة من الطريقة الأولىٰ والدلالة الأصلية؛ "فاللفظ ككائن مستقل عن المعنىٰ مستعمل أو مهمل، واللفظ كقالب منطقي يزيد معناه بالزيادة في حروفه، واللفظ كمشتق يتضمن معنىٰ المقولة"(٢).

(١) التعريفات، للجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، نشر دار الفضيلة، القاهرة، د.ت: ٢٦.

(٢) بنية العقل العربي، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١٠، ٢٠١٠م: ٥٦.

ومن ألفاظ الوجوه والنظائر: كلمة (الحسّ) فقد جاءت في معانٍ ودلالات سياقية اشتقاقية تعود في مجملها إلىٰ معنيين ذكرهما ابن فارس: "فالأول: غلبة الشيء بقتل أو غيره، والثاني حكاية صوت عند توجع وشبهه"[(١)]، فمِمَّا جاء علىٰ المعنىٰ الأول: قوله -سبحانه-:﴿ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ ﴾ [سورة آل عمران:١٥٢]، وجاءت بمعنىٰ الرؤية أو العلم كما في قوله -جلَّ ذكره-: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ ﴾ [سورة آل عمران:٥٢]، والحسُّ يكون للشيء المدرك والموجود فـ"الإحساس: الوجود"[(٢)]، واستخدامه لمعنىٰ الكفر يوحي بتجسيده علىٰ سبيل الاستعارة، ولا يخفىٰ ما في التجسيد – هنا – من اليقين، وتأكيد دلالة الكفر الذي صار معلومًا في حكم الموجود الذي يحسُّ به الإنسان، ووجه عودته إلىٰ الأصل الأول وهو معنىٰ القتل، أنه: "محمولٌ علىٰ قولهم قتلت الشيء علمًا"[(٣)].

وجاء الحسُّ بصيغة التفعُّل: (التحسُّس) بمعنىٰ البحث وطلب العلم بالشيء، كما في قصة نبيِّ الله يوسف -عليه السلام- قال -سبحانه وتعالىٰ- علىٰ لسان والده نبي الله يعقوب (إسرائيل) -عليه السلام-:﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢﴾ [سورة يوسف:٥٢]،

(١) معجم مقاييس اللغة: مادة (حسَّ).

(٢) معاني القرآن: ١/ ٢٠٦.

(٣) معجم مقاييس اللغة: مادة (حسَّ).

قال الطبري: "وأصل (التحسُّس): التفعل من الحِسِّ"(١)، فالحسُّ هنا يحمل دلالة السعي والأمل، بدلالة قوله –جلَّ ذكره–: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [سورة يوسف:٨٧].

وجاء الحسُّ في معنىٰ الصوت المسموع –كما في الأصل الثاني المذكور آنفًا–، ومن ذلك قوله –تعالىٰ–:﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾ [سورة الأنبياء:١٠٢]، قال الزمخشري: "الحسيس: الصوت يحس"(٢)، حكايةً عن إبعاد أهل الحسنىٰ والصالحات عن جهنم وعذابها، وهي "مَسوقةٌ للمبالغة في إنقاذهم منها"(٣)، فالحسيس هُنا يُـراد به: صوت جهنم –عياذاً بالله منها–، وفيه تجسيدٌ لصورة العذاب؛ لأنه يكشف عن صوت جهنم وعذابها وغضبها علىٰ من فيها مما يوحي بشدة العذاب وصورته المخيفة، وفي المقابل سعادة أهل الإيمان بنجاتهم منها وإبعادهم عنها، بل وسلامتهم من سماع حسيسها المخيف.

ومن ألفاظ الوجوه والنظائر كلمة (الضّر) فقد جاءت في دلالات سياقية واشتقاقية، تلتقي في (خلاف النفع) وتفترق بحسب سياق ورودها، ومن ذلك ما جاء منها في معنىٰ الشدة والضيق، كما في قوله –سبحانه–: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ

(١) جامع البيان: ١٦/ ٢٣٢.

(٢) الكشاف: ٣/ ١٣٧.

(٣) إرشاد العقل السليم: ٦/ ٨٧.

ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ﴾ [سورة الزمر:٨]، **قال الطبري: "فإذا أصاب الإنسان بؤس وشدّة.."[1]، وفي معنىٰ قحط المطر كما في الآية الكريمة:**﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ ﴾ [سورة يونس:٢١]، **وقد جاء الضرُّ هُنا علىٰ وزن المبالغة المؤنث (ضراء) علىٰ وزن (فعلاء)، وذلك لأن الضر الذي يلحق الناس بانقطاع المطر وجدب الأرض أشدُّ من الضرر الذي يمسُّ الإنسان -في نفسه- وحيدًا، والقاعدة العربية المتقرّرة أن الزيادة في المبنىٰ تشير إلىٰ الزيادة في المعنىٰ.**

وجاء الضُّر كذلك في معنىٰ الأهوال التي يواجهها الناس في البحار كما قال -تعالىٰ-:﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ [سورة الإسراء:٦٧]، **كما جاء في معنىٰ المرض والبلاء يقول -عزَّ وجلَّ-:** ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ ﴾ [سورة يونس:١٢].، **في مادة المسِّ التي اقترنت بالضُّر في الآيات الكريمة دلالة استعارية، فشبَّهت الضر بشيء مادي وملموس، مما يعكس دلالة التجسيد والمبالغة في المعنىٰ، وهو كذلك من دقائق التعبير القرآني، فاقتران ذكر الضر بالمس ظاهرٌ بيّن في آيات الكتاب العزيز وهو من أدب اللفظ الذي أشار إليه أبو السعود:** ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ

(١) جامع البيان: ٢١/ ٣٠٣.

فِيٓ ءَايَاتِنَآ ﴾ [سورة يونس:٢١]، أي: **خالطتْهم حتىٰ أحسوا بسوء أثرِها فيهم، وإسنادُ المساسِ إلىٰ الضراء بعد إسنادِ الإذاقةِ إلىٰ ضمير الجلالِة من الآداب القرآنيةِ كما في قوله –تعالىٰ–:** ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الشعراء:٨٠]**ونظائرِه"**[(١)].

ومن ألفاظ الوجوه والنظائر القرآنية التي جاءت ضمن دلالات اشتقاقية، مادة (الظن) فقد وردت بمعنىٰ اليقين، ومن ذلك قوله –جلَّ ثناؤه–:﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة ص:٢٤]، **فجاء الظنُّ بصيغة الفعل الماضي الدَّال علىٰ الثبوت واليقين، وورد بمعنىٰ الشك أو دلالة الشك، ومنه قوله –تعالىٰ–:** ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الجاثية:٣٢]، **فجاء هُنا بصيغة المضارع المسبوق بـ(إن) الدالة علىٰ الشك وعدم اليقين.**

كما جاءت في معنىٰ الجريمة والتهمة، كما في الآية الكريمة: ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الأحزاب:١٠]، **وصيغة الجمع (الظنونا) للدلالة علىٰ المبالغة في الإثم والظن السيئ، فقد كانت ظنونهم كثيرة متعددة، فقد "ظن المنافقون أن المسلمين يستأصلون، وظنّ المؤمنون أنهم يبتلون"**[(٢)].

وجاء الظنُّ كذلك في معنىٰ الكذب والافتراء، ومنه قوله –جلَّ ذكره–: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ ﴾ [سورة النجم:٢٨]، **ولذلك**

(١) إرشاد العقل السليم: ٣/ ٢٥٠.

(٢) الكشاف: ٣/ ٥٢٧.

تقدم الظن بـ(إنْ) الدالة علىٰ الشك، قال الطاهر ابن عاشور: "وأطلق الظن علىٰ الاعتقاد المخطئ كما هو غالب إطلاقه مع قرينة قوله عقبه:﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة النجم:٢٨]. "[1].

كذلك جاءت كلمة (النشور) في دلالات اشتقاقية تعود في أصل معناها اللغوي كما بيَّنه ابن فارس بقوله: "النون والشين والراء أصل صحيح يدل علىٰ فتح شيء وتشعبه"[2]، والنشر بخلاف الطيّ، ومن ذلك وروده في معنىٰ الحياة والبعث، كما في قوله -سبحانه-: ﴿ وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴿٣﴾﴾ [سورة الفرقان:٣]،﴿ بَل كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الفرقان:٤٠]، ﴿ وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الملك:١٥]، فجاءت بصفة اسمية للدلالة علىٰ المعنىٰ المراد، أما الزمن فهو معلوم لامحالة فلا ضرورة لتحديده، وجاء (النشور) في معنىٰ البسط كما في الآيتين الكريمتين: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الشورىٰ:٢٨]، ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾﴾ [سورة الكهف:١٦]، جاءت بصيغة الفعل الدال علىٰ الحركة والحيوية والتجدد والاستمرار، فرحمة الله دائمة مستمرة متجددة لا تنقطع، فهي عامةٌ واسعة منتشرة الأنحاء، ولذا استعير وصف

(١) التحرير والتنوير: ٢٧/ ١١٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة: مادة (نشر).

النشر للرحمة، قال الطاهر ابن عاشور: "والنشر: ضد الطي... واستعير هنا للتوسيع والامتداد"(١).

وجات كلمة (النور) في دلالات اشتقاقية تدل في أصل معناه اللغوي علىٰ "إضاءة واضطراب وقلة ثبات. منه: النور والنار؛ سميا بذلك من طريقة الإضاءة"(٢)، واستعير في كتاب الله –تعالىٰ– في معنىٰ الإسلام والدين(٣)، كما في قوله –سبحانه–: ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة التوبة:٣٢]، وقوله –تعالىٰ–:﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الصف:٨]، فجاءت مضافةً للفظ الجلالة (نور الله) ومضافةً للضمير العائد إليه (نورِه) وذلك لأن الإسلام هو دين الله –سبحانه–: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [سورة آل عمران:١٩]، تعظيمًا وتكريمًا للإسلام، وتأكيداً علىٰ أنه دين الله –سبحانه– الذي اصطفاه لعباده، فالإضافة إلىٰ لفظ الجلالة تختص الإسلام بالتكريم والتشريف. وجاءت في معنىٰ نور المؤمن الذي يعطيه الله المؤمنين علىٰ الصراط يوم القيامة، ومنه قوله –تعالىٰ–:﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ [سورة الحديد:١٢]، وقوله –تعالىٰ–:﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن

(١) التحرير والتنوير: ٢٥/ ٩٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة: مادة (نور).

(٣) ينظر نظم الدرر: ٨/ ٤٤٣.

نُورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [سورة الحديد:١٣]، وفي إضافة النور للمؤمنين تشريف وتعظيم وتكريم، وبيان اختصاصهم به يوم القيامة دون غيرهم من الخلق.

وجاءت مادة (المشي) في آيات الكتاب العزيز ضمن دلالات اشتقاقية من خلال صيغ فعلية، فوردت في معنىٰ الحركة والمضي والسعي، كقوله –سبحانه–:﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ [سورة البقرة:٢٠]، فجاء الفعل بصيغة الماضي الدالة علىٰ الثبوت واليقين والحدوث، كما جاء بصيغة الأمر، وذلك في قوله –تعالىٰ–:﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [سورة الملك:١٥]، في دلالة علىٰ السعي والحركة المستمرة، وقد خرج الأمر هنا عن معناه الحقيقي إلىٰ دلالة بلاغية ترتبط بالحث علىٰ العمل والنصيحة بالسعي في الأرض، وابتغاء الرزق فيها.

وجاء في معنىٰ الهدىٰ، وذلك في قوله –جلَّ ثناؤه–:﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [سورة الأنعام:١٢٢]، جاء بصيغة المضارع (يمشي) الدال علىٰ الحركة والدوام والاستمرار، وتجرد الحركة والحياة، وقد عُدِّي بالباء أي: بسببه[1]، ولا يمنع أن تكون الباء هنا للاستعانة، فيستعين بنور الله –تعالىٰ– وهداه علىٰ سيره في هذه الدنيا، وقريبٌ من ذلك قوله –عزَّ وجلَّ–:﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الحديد:٢٨]، فجاء (المشي) بصيغة

(١) ينظر إرشاد العقل السليم: ٣/ ١٨٠.

المضارع للدلالة علىٰ دوام الهدىٰ والنور الذي يكرم الله –تعالىٰ– به عباده المؤمنين، وهو ما يوحي باستمرار وتجدد الهدىٰ في قلوبهم.

وجاءت مادة (المد) وتعني في أصل إطلاقها اللغوي على "جرِّ شيء في طول، واتصال شيءٍ بشيء في استطالة"[١]، وهي من ألفاظ الوجوه والنظائر في الكتاب العزيز، وقد وردت المادة ضمن دلالات اشتقاقية، وذلك من خلال صيغة الفعل، كما في قوله –تعالىٰ–:﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ [سورة نوح:١٢]، وقوله –جلَّ ذكره–:﴿ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ [سورة الإسراء:٦]، فجاءت في معنىٰ العطاء من خلال صيغتي الماضي والمضارع الدالتان بمجموعهما علىٰ ثبوت وتأكيد العطاء، وكذلك دوامه وتجدده واستمرار عطايا الله –سبحانه– لعباده، وآثر السياق التعبير بالمد دون سواه: "لإرادة المبالغة والبسط والسعة"[٢].

كما جاء (المد) في معنىٰ المد والاتساع الذي لا انقطاع له ولا نهاية، كما في قوله –تعالىٰ–: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الواقعة:٣٠]، للدلالة علىٰ نعيم الجنة الدائم الذي لا ينقطع ولا حدود له ولا نهاية، وعبر بالصيغة الاسمية غير المرتبطة بالدلالة علىٰ زمن ماضٍ أو حاضر أو مستقبل، لأنه الحياة في الجنة دائمة أبدية مستمرة خالدة لا نهاية لها، وقد بيَّن النسفي دلالة

(١) معجم مقاييس اللغة: مادة (مد).

(٢) إرشاد العقل السليم: ٢٠/ ٤٣٨.

الصيغة بقوله: "ممدود: ممتد منبسط؛ كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس"(١).

وجاء (المد) في صيغة المبني لما لم يُسمَّ فاعله في الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾ [سورة الانشقاق:٣]وهو هنا في معنىٰ الاستواء، وقد بسط ابن عاشور القول في معاني المد هنا وخلاصته أنها تمد فتستطيل بعد تكويرها وتزول انثناءاتها من الجبال والتلال بعد نسفها(٢)، وجاء في صيغة المبني لما لم يُسمَّ فاعله، فعدم ذكر الفاعل؛ لأنه -سبحانه وتعالىٰ- معلوم بالضرورة، فليس يستقرُّ في الأذهان أن ذلك فعل سواه، فآثر السياق هذه الصيغة مبالغةً في التهويل والتخويف بما لم يعهده الذهن.

وجاءت كلمة (الهدى) في دلالات سياقية واشتقاقية، منها ورودها في معنىٰ الإسلام، كما في قوله -عزَّ وجلَّ-:﴿ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ۝٦٧﴾ [سورة الحج:٦٧].، وقوله -تعالىٰ-:﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ ﴾ [سورة البقرة:١٢٠]، وقوله -سبحانه-: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ ﴾ [سورة الأنعام:٧١]، فجاءت مؤكدةً موصوفةً في الآية الأولىٰ، ثم مؤكدة معلومة معرفة بالإضافة إلىٰ لفظ الجلالة في الآيتين التاليتين، فحينما عبر الهدىٰ عن الإسلام أو جاء للدلالة عليه؛ ورد مؤكدًا لا

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م: ٣/ ٤٢٢.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٢٠.

شك فيه، وجاء موصوفًا بالاستقامة والاعتدال:﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]، كما جاء مضافًا منتسبًا لله – سبحانه– لأنَّ الإسلام دين الله:﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران:١٩].، وجاء (الهدىٰ) في صيغة النكرة للدلالة علىٰ الكتب السماوية والرسل والأنبياء، كما قوله –جلَّ ثناؤه–:﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ [سورة البقرة:٣٨].، فعبَّر القرآن هنا بصيغة النكرة للدلالة علىٰ عموم الكتب السماوية والرسل والأنبياء، وحينما يرد (الهدىٰ) للدلالة علىٰ معنىٰ القرآن الكريم:﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة النجم:٢٣]، ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [سورة الإسراء:٩٤]، فإنه يرد معرفًا معلومًا بالعهد الذهني للدلالة علىٰ كتابٍ بعينه وهو القرآن الكريم، إضافةً لما يحمله التعريف والتحديد من تعظيم وتشريف لكتاب الله –تعالىٰ.

وجاء الفعل (أفلح) وهو من ألفاظ الوجوه والنظائر في دلالات اشتقاقية، فجاء في معنىٰ السعادة والفرح، كما في قوله –تعالىٰ–: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ [سورة المؤمنون:١].، وقوله –تعالىٰ–:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الأعلىٰ:١٤]، جاء بصيغة الماضي الدال علىٰ التأكيد والثبوت، ومن خلال إضافة الحرف (قد) للماضي الذي يحمل دلالة التأكيد واليقين. وجاء في معنىٰ الفوز، كما في الآية الكريمة:﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة يوسف:٢٣]، من خلال الفعل المضارع المنفي، الدال علىٰ نفي فلاح الظالمين، وامتناع فوزهم بسبب ظلمهم.

وجاءت كلمة (الأنفس) في دلالات اشتقاقية، فجاءت في معنىٰ القلوب، وذلك في قوله -جلَّ ذكره-: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [سورة النجم:٢٣]، **وقوله سبحانه:** ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾ [سورة الإسراء:٢٥]، **فجاءت في صيغة الجمع؛ لأن الأهواء متعددة متباينة غير محددة أو متفقة، فجاء الجمع ليناسب المعنىٰ، وإن كان في ذلك فرقٌ لطيف بين صيغتي الجمع في الآيتين الكريمتين: (الأنفس والنفوس)؛ فالآية الأولىٰ آثر سياقها جمع القلة (الأنفس) وهي معدودة من "مواطن تحقير هذه الأنفس، وتقليل وجودها ودورها في صنع الحياة الفاضلة... فكان جمع القلة هو الذي يحقق الغاية من إظهار كثرتهم العددية بمظهر القلة والحقارة"(١)، بينما جاءت الآية الأخرىٰ في سياق آية الأمر بالإحسان للوالدين وذكر أخبار الصالحين وأفعالهم، ويشهد لذلك فاصلة الآية نفسها:** ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الإسراء:٢٥]، **فناسب ذلك السياق إيثار جمع الكثرة الذي يوحي بتعظيم شأن هذه النفوس، وبيان منزلتها عند الله -سبحانه وتعالىٰ-.**

كما وردت مفردة في الدلالة علىٰ الإنسان، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ [سورة المائدة:٤٥]، **وقال -تعالىٰ-** ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ

(١) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ، د. محمد الأمين الخضري، مطبة الحسين الإسلامية، القاهرة - مصر، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م: ١٤٨.

نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [سورة المائدة:٣٢]، **فالإفراد هنا للدلالة علىٰ القصاص في النفس الواحدة، ولبيان عظيم الجرم وكبر الذنب في حالة قتلها، فما بالك لو كانت أكثر من ذلك؟! وتخصيص القصاص بالنفس الذي واقعت الجرم دون غيرها بدلالة التعريف التي تخصّص العام.**

وجاءت (النفس) في معنىٰ دينكم وملكتم، ومن ذلك قوله –جلَّ ذكره–: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة النساء:٢٩]، **فكأن أهل الدين الواحد والملة الواحدة كالنفس الواحدة، وفي التعبير بالنفس هُنا رغم صيغة الجمع؛ فهي دالَّةٌ علىٰ الوحدة الوثيقة والارتباط العميق بين أهل الدين الواحد.**

وجاءت كلمة (يوزعون) –وهي من ألفاظ الوجوه والنظائر– في دلالات اشتقاقية، فجاءت (يوزعون) بمعنىٰ يُساقون فيُحبس أولهم علىٰ آخرهم، وذلك في قوله –تعالىٰ–: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة فصلت:١٩].، **وقوله – سبحانه وتعالىٰ–:** ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة النمل:٨٣].، **قال الفرَّاء: "يوزعون: يحبس أولهم علىٰ آخرهم حتَّىٰ يدخلوا النار"[(١)]، فجاءت في صيغة المضارع المبني لما لم يُسَمَّ فاعله للدلالة علىٰ أنهم قد سُلبوا القدرة والإرادة، يُساقون إلىٰ جهنم كالبهائم لا حيلة لهم ولا عذر آنذاك.**

(١) معاني القرآن: ٣/ ١٥.

وجاءت المادة في صيغة المتكلم كما في قوله -تعالىٰ-: ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ﴾ [سورة النمل:١٩]. وقوله -تعالىٰ-:﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ﴾[سورة الأحقاف:١٥]، وهذا البناء (أوزعني) يُشتقُّ منه معنىٰ آخر بيَّنه ابن فارس بقوله: "أوزع الله فلانا الشكر: ألهمه إياه. ويقال هو من أوزع بالشيء، إذا أولع به، كأن الله تعالىٰ يولعه بشكره"[1]، وصيغة الأمر – هنا – ارتبطت بدلالة الدعاء والتمني والقدرة علىٰ شكر النعمة، والمشاعر الإيمانية والرضا واليقين التام.

جاءت الدلالة الاشتقاقية لمفردات الأشباه والنظائر القرآنية من خلال الصيغ الاسمية التي تمتاز بالثبات الدلالي والمعنوي، وأحيانًا من خلال الجمل الفعلية التي تمتاز بالحيوية والحركة الدلالية المتجددة، ومن خلال توليد الألفاظ وصوغها من بعض بما لا يخالف قوانين اللغة والصرف، مما أسهم في ثراء الألفاظ القرآنية، وزاد من قدرتها في تقديم المعنىٰ وتوسيع الدلالة، كما أسهمت الدلالة الاشتقاقية في إفعام المفردات القرآنية بمزيد من المعاني والتنوع الدلالي والفني بوسيلة أسلوبية ولغوية جديدة مشتقة من الأصل.

❁❁❁❁❁

(١) معجم مقاييس اللغة: مادة (وزع).

خاتمة البحث

تناول هذا البحث (الوجوه والنظائر في السياق القرآني، دراسة بلاغية) قضية الوجوه والنظائر في آيات الكتاب العزيز، وذلك من خلال أربعة فصول: حيث جاء الفصل الأول المتعلق بـ(الدلالة السياقية) لتناول قضية تنوع مفردات الوجوه والنظائر القرآنية بتنوع سياقاتها القرآنية الواردة فيها، وجاء الفصل الثاني المتعلق بـ(الدلالة البيانية) فتناول الصور البيانية من خلال ألفاظ الوجوه والنظائر وذلك وفق مقتضيات أبواب علم البيان، وجاء الفصل الثالث متحدثًا عن (الدلالة التركيبية) ومتناولاً لبعض الظواهر التركيبية والأسلوبية في مفردات الوجوه والنظائر القرآنية، وتحدث الفصل الرابع عن (الدلالة الاشتقاقية) لمفردات الوجوه والنظائر.

وقد توصل البحث إلى بعض النتائج ومن أهمها:

١. لكل لفظٍ قرآني دلالته في سياق الجملة، فلا يمكن أن يرادف أو يساوي لفظٌ لفظًا آخر تمام المساواة، بل يأتي اللفظ في معنىٰ ودلالة مغايرة وملائمة في الوقت ذاته لكل سياقٍ ورد فيه.

٢. آثر السياق القرآني اختيار ألفاظ الوجوه والنظائر القرآنية متناسبًا مع المعاني المرادة والإيحاءات المقصودة، لتكون معبِّرةً وملائمة للسياق القرآني، وفي مكانها الذي تتسق فيه مع غيرها من الكلمات الأخرىٰ في سياق آيات الكتاب العزيز، ليتحقق بذلك المناسبة التامة بين اللفظ والمعنىٰ في أبهىٰ صوره من خلال ألفاظ الوجوه والنظائر.

٣. جمعت ألفاظ الوجوه والنظائر في القرآن الكريم بين جمال اللفظ وإيقاعه وجرسه المعبر، ومعناه المتناسب مع الغاية المنشودة، فجاءت الألفاظ في مكانها المناسب في السياق القرآني لتعطي المعنىٰ المقصود حسب

مقتضىٰ السياق، متناسبةً من الناحية المعنوية واللفظية مع غيرها من الكلمات القرآنية المجاورة.

٤. إضافةً إلىٰ التباعد في الحقول الدلالية بين أطراف التشبيه في ألفاظ الوجوه والنظائر القرآنية فإنَّنا نجدها قد حملت معانٍ ودلالات بيانية ومعنوية قريبة وملائمة للسياقات الواردة فيها.

٥. كشفت دراسة الدلالات البيانية لألفاظ الوجوه والنظائر سمو الألفاظ القرآنية وسعة معانيها سياقيًّا وبيانيًّا، وائتلافها مع السياق الواردة فيه، وتناسب ألفاظها مع معانيها ودلالاتها السياقية والبيانية للمفردة الواحدة.

٦. جاء تحريك الصياغة من خلال التقديم والتأخير، إضافةً إلىٰ الظواهر التركيبية الأخرىٰ لألفاظ الوجوه والنظائر القرآنية، لتحقيق أغراضٍ دلالية ومعنوية، وجاء الغرض مرتبطًا بالسياق لا ينفكُّ عنه.

٧. لم يقف أسلوب التقديم في ألفاظ الوجوه والنظائر عند مجرد تقديم جزئيات اللغة من تقديم كلمة علىٰ كلمة، أو جملة علىٰ جملة؛ إنما يمتدُّ ليشمل المعنىٰ الأولىٰ والأحق بالتقديم لأهميته.

٨. أسهمت الدلالة الاشتقاقية لمفردات الوجوه والنظائر القرآنية في حيوية اللغة وتثوير طاقاتها، وإثراء الألفاظ القرآنية بمزيد من المعاني والدلالات من خلال طريقة جديدة للتعبير، مما أسهم في الامتداد الدلالي والتنويع والتوسيع المعنوي والفني من خلال طرق وأساليب وصياغات تعبيرية مختلفة تلائم السياق القرآني.

ثبت المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣. إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: عبدالعزيز الأهدل، دار العلم الملايين، بيروت – لبنان، ط ٣، ١٩٨٠م.

٤. الأضداد، أبو بكر ابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٥. الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ، د. محمد الأمين الخضري، مطبة الحسين الإسلامية، القاهرة – مصر، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٦. أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف – العراق، ط١، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

٧. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس ابن عجيبة الحسني الفاسي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي، نشر الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة – مصر، ١٤١٩هـ.

٨. بدائع الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، الرياض، ١٤٢٤هـ.

٩. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

١٠. البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٤م.
١١. بنية العقل العربي، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١٠، ٢٠١٠م.
١٢. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
١٣. التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية، د. شفيع السيد، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت.
١٤. التعريفات، للجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، نشر دار الفضيلة، القاهرة، د.ت.
١٥. جامع البيان، ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٦. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط ١، ١٩٨٧م.
١٧. حاشية البناني علىٰ شرح الجلال المحلي، وبهامشها تقرير الشربيني، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت.
١٨. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٢م.
١٩. علم المعاني، د. عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان.
٢٠. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي و د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
٢١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

٢٢. الكلمة دراسة لغَوِيَّة معجميَّة، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣م.
٢٣. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت – لبنان، ط ٣، ١٤١٤هـ.
٢٤. اللغة العربية مبناها ومعناها، د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٧٩م.
٢٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٢ه.
٢٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٢٧. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٨. معاني القرآن، أبو زكريا الفراء، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، الدار المصرية للتأليف والنشر، مصر، ط١.
٢٩. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣٠. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان-بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٣١. نظم الدرر في تناسب الآي والسور، أبو بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – مصر.

٣٢. الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مركز جمعة الماجد، دبي، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٣. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، د. سلوىٰ محمد العوا، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م.